

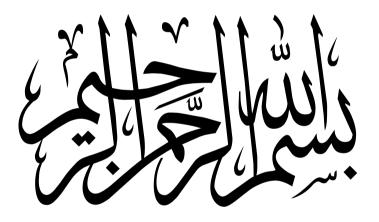


العلوم الشريعية

ൃഷ്ട്രയുന്നു ആരു വുക്കു

العدد: ۱۹۰ الجزء الأول السنة: ٥٣

محرم ا٤٤١هـ



# معلومات الإيداع

# النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦ وتاريخ ١٤٣٩/٨٧٣٦ هـ الرقم ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ٧٨٩٨-١٦٥٨

### النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨ وتاريخ ١٤٣٩/٨٧٣٨ هـ الوقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٩-١

# الموقع الإلكتروني للمجلة:

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:
Es.journalils@jiu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة)

#### هيئة التحرير

أ.د. أمين بن عائش المزيني (رئيس التحرير)
استاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية أ.د. حافظ بن محمد الحكمي أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد سعد بن أحمد اليوبي
 أستاذ أصول الفقه بالجامعة الإسلامية
 أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي

أ.د. عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي
 أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. علي بن سليمان العبيد
 أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام
 محمد بن سعود الإسلامية (سابقاً)

أ.د. مبارك محمد أحمد رحمة أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة أم درمان الإسلامية أ.د. محمد بن خالد عبد العزيز منصور أستاذ الفقه وأصوله بالجامعة الأردنية وجامعة الكويت

سكرتير التحرير: خالد بن سعد الغامدي قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

### الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الخثلان
 عضو هيئة كبار العلماء (سابقًا)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد نائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلميرئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو
 أستاذ التعليم العالي في المغرب

i.c. مساعد بن سليمان الطيار أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد
 الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج
 أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالح بن محمد الصغير
 أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري
 أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالى للقضاء

# قواعد النشر في المجلة (\*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
  - أن لا يكون مستلًّا من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
  - أن يشتمل البحث على:
  - صفحة عنوان البحث باللغة العربية
  - صفحة عنوان البحث باللغة الإنجليزية
    - مستخلص البحث باللغة العربيّة
    - مستخلص البحث باللغة الإنجليزيّة
      - \_ مقدّمة
      - صلب البحث
    - خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات
    - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية
  - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
    - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّية والعالمية بمقابل أو بدون مقابل وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في الجلّة في أي وعاء من أوعية النّشر إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
  - نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).

(\*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

# محتويات العدد

رقم الصفحة	البحث	<b>^</b>
٩	رواية المفضل الضبي عن عاصم جمعاً ودراسة د. علي بن إبراهيم بن علي طوهري	(1
1 " "	أَعْشَارُ القُرْآنِ العَزِيزِ قصيدةُ الإمامِ أبي عبدِ اللّهِ محمدِ بنِ حسنِ الفَاسِيِّ الحَنَفِيِّ (ت: ١٥٦ هـ) دراسةً وتحقيقاً. د. عبد الرحمن بن سعد الـجُهَنـي	<b>( Y</b>
770	تطبيقات ابن كثير لقواعد الجمع بين الأقوال في تفسيره – دراسة نماذج تطبيقية– مي علي بن عبدالعزيز السديس	( <b>*</b>
*^7	دعاءُ الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم دراسة موضوعية د. عبدالله بن عيدان بن أحمد الزهراني	( <b>\$</b>
011	إجازة الرسول صلى اللّه عليه وسلم لجوار أم هانئ رضي اللّه عنها في السنة د. سهيلة بنت حسين حريري	( &
177	حفظ الصحابة للسنة النبوية؛ الدواعي والمظاهر أ.د. الصــالـح بن سعيـــد عـــومـــــار	(٦

# دعاء الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم دراسة موضوعية

# Prayer of the disbelievers to God Lord of the worlds in the Holy Quran A Subjective Study

إعداد:

# د. عبدالله بن عيدان بن أحمد الزهراني

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف

البريد الإلكتروني: Dr.Ab.Eidan@gmail.com

#### المستخلص

يعتني هذا البحث بدراسة أدعية الكافرين الله عَجَلَق التي ذكرت في القرآن الكريم.

وأهداف هذا البحث: دراسة الآيات التي ذُكِرت فيها أدعية الكافرين الله تعالى في القرآن الكريم، سواء ماكان منها في الدنيا، أو في الآخرة، والدعوات التي يجيبها الله منها، والحِكم التي لأجلها تُجاب بعض أدعية الكافرين.

وقد اعتمد منهج البحث: على الدراسة الموضوعية للآيات التي ذُكِرت فيها أدعية الكافرين الله تعالى في القرآن الكريم، وذلك بجمع الآيات ثم توزيعها على مطالب البحث، والنظر بعد ذلك في أقوال المفسرين حولها، ثم الخروج بنتائج حول هذه الأدعية المذكورة.

وأهم النتائج التي تم التوصل إليها في البحث: أنّ دعاء الكافرين الله تعالى أكبر دليلٍ على ضعفهم وشدة حاجتهم وافتقارهم لعنايته سبحانه، وأنّ في دعائهم لربّ العالمين إقراراً منهم بربوبية الله جَلّ وعلا، وهذا الإقرار يفرض عليهم الإقرار بألوهيته، وأنّ الكافرين إنما يخلصون لله الدعاء وقت حصول عذاب مفاجئ وسريع، أمّا حين تعرض لهم صنوف العذاب الدنيوي والابتلاء بأنواع المصائب فإنهم لا يتضرعون إلى الله ولا يدعونه، بل يستمرون في إعراضهم وغفلتهم وغرورهم، وأنّ الله تعالى قد يجيب بعض أدعية الكافرين في الدنيا إذا شاء، أمّا في

#### دعاءُ الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. عبدالله بن عيدان الزهراني

الآخرة فلا يستجيب لدعائهم، وأنّ إجابة بعض أدعية الكافرين في الدنيا ليس فيها دليلٌ على حُبِّ الله لهم أو رضاه بكفرهم، وإنما يكون في إجابته لدعائهم فتنةً لهم، أو عقوبةً، أو نعيمٌ معجّلٌ في الدنيا. الكلمات الدالة (المفتاحية): القرآن – الدعاء – الكفر.

#### **Abstract**

This research deals with the study of the supplication of the disbelievers, which have been mentioned in the Holy Quran.

It aimed to study the Quranic verses in which the supplications of the disbelievers are mentioned, whether these supplications are in life, or in the afterlife, and the supplications that responded by Allah Al-Mighty.

The methodology of the research is based on the objective study of the verses in which the supplications of the disbelievers were mentioned in the Holy Quran, by collecting the verses and then distributing it to the sections of the research, and then reviewing the comments of the scholars on such supplications.

The most important results that have been reached in the search are that the supplications of the disbelievers is the greatest evidence of their weakness, the severity of their need and lack of the care of Allah Al-Mighty, (2) their supplication considers to a recognition of Allah's Lordship, (3) the unbelievers are only supplicating and praying to Allah sincerely only at the time of a sudden and swift punishment (4) Allah Almighty may answer some of the supplications of the disbelievers in life if he wishes, but this didn't mean that he loves them or to be satisfied with their religion and deeds, and the responding to their supplication may be a punishment for them or a bliss in the world.

Keywords:

the Holy Quran- Infidelity- Supplication

#### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة السلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنّ شأن دعاء الله عَلَيْهُ عظيم، ومنزلته كبيرة، والله تعالى جواد كريم، يعطي السائلين، ويغيث الملهوفين، وينجي المكروبين، ويجيب دعوة المضطرين، ويقضي حوائج المحتاجين، إذا سألوه بإخلاصٍ ويقين.

ولا شك أنّ جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب المنافع اليهم ودفع المضار عنهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بسؤال الله تعالى ودعائه، وقد أولى القرآن الكريم أمر الدعاء عناية كبيرة، فأمر به، وحثّ عليه، وبيّن فضله، وأثنى على أهله، وحدّر مِن تركه، وأشار إلى بعض عليه، ووعد بإجابته، وذكر نماذج منه، ومن ذلك أنه استعرض أدعية الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأدعية المؤمنين، بل ولم يُغفِل ذِكْر أدعية الكافرين.

ولَمّا كان موضوع أدعية الرسل وأدعية المؤمنين في القرآن الكريم قد أخذ نصيبه من البحث والدراسة أحببت أن أستعرض أدعية الكافرين ربّم التي وردت في القرآن الكريم، وأدرس هذا الموضوع دراسة تفسيرية موضوعية، وذلك بجمع الآيات التي جاء فيها ذِكْرُ بعض أدعية الكافرين الله تعالى، ثم النظر في تفسير تلك الآيات التي وردت فيها،

#### مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

وذلك ضمن سياقاتها التي وردت فيها تلك الأدعية، راجياً أن يتم استخلاص فوائد نافعة من استعراض تلك الأدعية التي ذكر الله تعالى في كتابه أنّ الكافرين سألوه إياها في الدنيا، أو إذا أقبلوا على الآخرة، أو سيدعونه بما في الآخرة، وقد جعلت هذا البحث بعنوان: دعاء الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

#### سؤال البحث:

كيف استعرض القرآنُ الكريم أدعية الكافرين الله تعالى في الدنيا والآخرة، وما الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات التي ذُكِرت فيها بعض أدعية الكافرين لرب العالمين؟.

# أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

- ١- عِظَمِ مُتعلّقه، وهو دعاء الله تعالى، الذي تقرّرت مكانته الكبرى في الدين، وأنّ جميع الخلائق لا تستغني عنه، حتى الكافرين من عياده.
- ٢- كثرة استعراض القرآن لأدعية الكافرين الله تعالى، مما يوجب الوقوف مع الآيات التي ذكرت تلك الأدعية، لاستنباط دلالاتها وفوائدها.

#### دعاءُ الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. عبدالله بن عيدان الزهراني

- ٣- فتنة بعض الناس بعدم معرفتهم لِلحِكَمِ التي قد بُحاب لأجلها
   بعض أدعية الكافرين، مما يُوجِب التعرّف على تلك الحكم.
- ٤- وجود ما يوهم ظاهره التعارض بين الآيات التي ورد فيها أنّ الله أجاب دعاء الكافرين، والآيات التي قرّرت ضلال دعائهم، مما يوجب درء هذا التعارض الظاهري الموهوم.

#### أهداف البحث:

يمكن إيجاز أهداف هذا البحث فيما يلي:

- ١- التعرّف على أدعية الكافرين التي ذكر الله في كتابه أنهم يسألونه إياها في الدنيا أو الآخرة.
- ٢- بيان الأحوال التي يلجأ الكافرون فيها إلى ربِّهم فيدعونه، والأحوال
   التي يعرضون فيها عن مسألته.
- ٣- توضيح أهداف الكافرين من دعائهم الله، والمطالب التي يرجون إجابتها.
- ٤- التعرّف على الأدعية التي قد تجاب لبعض الكافرين إذا دعوا بها
   الله تعالى، والأدعية التي لا يمكن أن يجيبهم الله إليها.
- ٥- ذكر الحِكَم التي مِن أجلها قد يجيب الله عَظِلٌ بعض أدعية الكافرين.

#### أسباب اختيار الموضوع:

إنّ الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع تتلخص فيما يلى:

- ١- كون موضوع دعاء الكافرين الله تعالى مما جاء ذكره في القرآن الكريم في مواضع متفرقة، وهذا يُلفِت الانتباه، ويوجب تدبّر الآيات التي استعرضت هذا الموضوع، واستنباط دلالاتها حسب الطاقة.
- ٢- عدم وجود كتابة متخصصة -حسب علمي- تعرّضت لموضوع دعاء الكافرين الله تعالى في القرآن الكريم بالدراسة الموضوعية للآيات التي ذُكِر فيها بعض أدعيتهم.
- ٣- ورود ذكر أدعية للكافرين في الدنيا، وأدعية لهم إذا أقبلوا على
   الآخرة، وأدعية لهم في النار، مما يوجب معرفة ما الذي يجاب منها من غيره، حتى يتم تبيين ذلك للكافرين وغيرهم.
- ٤- رغبة المساهمة في دعوة الكافرين إلى الإسلام، وذلك ببيان فضل الله عليهم إن أجاب شيئاً من دعائهم، وتحذيرهم من الاغترار بكفرهم، وبيان أنّ هناك أوقاتاً وأحوالاً لا تجاب فيها دعواتهم أبداً.

#### الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة موضوعية لدعاء الكافرين الله تعالى في القرآن الكريم، كما أسلفت، وقصارى ما هنالك بحوث حول الدعاء في القرآن الكريم الكريم وآياته، أو بحوث فيها دراسة موضوعية للدعاء في القرآن الكريم عموماً؛ ولكنها لم تعط آيات أدعية الكافرين في القرآن الكريم حقها من البحث والدراسة، ومن تلك البحوث والدراسات ما يلى:

- 1. الدعاء في ضوء الكتاب والسنة، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، من إعداد الباحث: جهاد محمد بونجا تنجونج، بإشراف الدكتور: العجمي دمنهوري خليفة، عام ١٤٠١هـ.
- 7. الأدعية في القرآن الكريم، صيغها وخصائصها ودلالاتما، موازنة بما ورد في السنة النبوية، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، من إعداد الباحث: مرشد عالم مفيض الرحمن، بإشراف الدكتور: عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، عام ٢١٤١هـ.

وقد تحدث الباحث في الفصل الثالث من الباب الرابع من هذا البحث عن أدعية الكفار في الدنيا والآخرة، إلا أنّ حديثه كان مقتصرا على ذِكْر صيغ أدعية الكافرين الواردة في القرآن الكريم وآثارها

وفوائدها، ولم يتعرض لموضوع دعاء الكافرين في القرآن الكريم بالدراسة الموضوعية.

- ٣. الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، من إعداد الباحثة: بمية حامد اللحياني، بإشراف الدكتور: يوسف عبدالله الأنصاري، عام ١٤٢٢هـ.
- ٤. الصور البلاغية في الأدعية القرآنية، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة العربية وآدابها من الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد، من إعداد الباحث: نور زمان مدنى، بإشراف الدكتور: كفاية الله همدانى، عام ٢٠١١م.
- المفاهيم المستمدة من آيات الدعاء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص أصول التربية الإسلامية من الجامعة الإسلامية بغزّة، من إعداد الباحثة: روضة سليم المدهون، بإشراف الدكتور: حمدان عبدالله الصوفي، عام ١٤٣٠هـ.
- ٦. آيات الدعاء في القرآن الكريم، دعاء الصاحين أهل الجنة الأبرار،
   ويليه دعاء الكافرين الأشرار أهل النار من الإنس والجن، تأليف

كل من: د. محمد محمود أحمد، ود. موسى الخطيب، طباعة مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥. وهذا الكتاب تعرّض لذكر بعض أدعية الكافرين الوارد ذكرها في القرآن العظيم، ولكن في الكتاب نقص كبير، فقد اقتصر فيه مؤلّفاه على ذكر بعض أدعية الكفار في الدنيا؛ كدعاء كفار سبأ، وكفار مكة، ودعاء إبليس، كما أنهما عدّا من ضمن أدعية الكفار ما ليس منها؛ كذكرهم دعاءً لأصحاب الأيكة، والذي يظهر بعد النظر والتأمّل أنه لم يرد ذكر دعاء لهم في القرآن الكريم(۱)، ومما يؤخذ على هذا الكتاب أيضاً أنه لم يُذكر فيه شيء من أدعية الكافرين في الآخرة، ولم تُبين فيه حقيقة إجابة أدعية الكفار، أو غير ذلك مما سيتضمنه هذا البحث بإذن الله تعالى.

<sup>(</sup>۱) ذكر مؤلفا الكتاب في ص(۱٥٣) منه، تحت الفصل الأول من الباب الثاني: "الدعاء الأول: لأصحاب الأيكة، قال الله تعالى في سورة الشعراء: في فَاسَقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّيْدِقِينَ ﴿ وَالشَّعْراء: ١٨٧]"، فاعتبرا هذا دعاءً، وظاهر الآية يدل أنه سؤال لنبيهم شعيب السَّكِيلِ أن يدعو هو الله تعالى بما طلبوا، وهو طلب تحدِّ وتعجيزٍ وتكذيب منهم لنبيهم، "والمعنى: الله تعالى بما طلبوا، وهو طلب تحدِّ وتعجيزٍ وتكذيب منهم لنبيهم، "والمعنى: إن كنت صادقاً أنك نبيّ، فادع الله أن يسقط علينا كِسَفاً مِن السماء". الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٤٠هـ)، ٣٣٣/٣.

#### منهج البحث وإجراءاته:

بما أنّ هذا البحث دراسة موضوعية للآيات التي وردت فيها بعض أدعية الكافرين الله تعالى في القرآن الكريم، فقد قام هذا البحث على منهج التفسير الموضوعي، وذلك باتباع الخطوات التالية:

- ١- اقتصر هذا البحث على دراسة أدعية الكافرين الله ﷺ التي وردت في القرآن الكريم، ولم يتم التعرُّض لدعائهم غير الله ﷺ سواء كان دعاء مسألة أم دعاء عبادة، لعدم قصد ذلك بهذا البحث.
- ٢- تم جمع الآيات التي ذُكِر فيها دعاء الكافرين ربّهم عَلَيْ، ثمّ محاولة ضم المتشابه منها في صيغة الدعاء ومؤدّاه تحت مطلب في أحد ماحث الخطة.
- ٣- جرت دراسة تفسير هذه الآيات بالرجوع إلى كتب التفسير، ثم بيان المعنى الإجمالي للآيات التي ورد فيها ذِكرٌ لبعض أدعية الكافرين، مع الإشارة إلى دلالات ألفاظ تلك الآيات واستعمالاتها، وهداياتها، في ضوء سياقاتها.

# ومن الإجراءات المتبعة في هذا البحث أيضاً:

١-إذا نقلت كلاماً من أحد المصادر بنصِّه، فإني أضعه بين علامتي تنصيص هكذا "..."، ثم أشير في الحاشية إلى مصدر هذا النص باسم الكتاب ومكان ورود النص منه بالجزء والصفحة، أمّا إذا استفدت الفكرة من بعض المصادر ولكني تصرّفت في النص بما

- أراه مناسباً، فإني أشير في الحاشية إلى مصدر الفكرة والفائدة بقولي (ينظر)، أي أنّ النقل كان للمعنى دون الحرفية.
- ٢-حرصت على إيراد الآيات القرآنية برسم المصحف، ثم السورة ورقم الآية، وإذا ورد في بعض الآيات أكثر من قراءة فإني أشير في الحاشية إلى تلك القراءات ومن قرأ بها، إن كانت مما يترتب عليها اختلاف في المعنى.
- ٣-إذا ورد حديث نبوي في متن البحث فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه، نظراً لصحتهما وتلقي الأمة لهما بالقبول، وإن كان في غيرهما عزوته إلى مصادره، ثم نقلت الحكم عليه وبيان درجته عند أهل العلم بالحديث، وكذا فإني أشرح بعض الكلمات الغريبة إن وُجدت في الحديث.
- ٤-إذا نقلت كلاماً من أحد المصادر ثم حذفت بعضه اختصاراً فإني أضع ثلاث نقاط أثناء النص المنقول هكذا"..."، دلالة على أن هناك جزءاً حُذِف اختصاراً، وإذا عزوت لمصدر فإني أذكر رقم الجزء إن وجد، ورقم الصفحة التي بدأ الاقتباس منها حتى ولو امتد ذلك الاقتباس إلى صفحات بعدها.
- ٥-لم أترجم لأحد من الأعلام خشية إثقال الحواشي بذلك، لا سيما أنّ أكثر الأعلام الواردة أسماؤهم في صلب البحث هم من المشهورين.

#### مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

7-اكتفيت من الفهارس بجعل فهرس للمراجع -فقط- في نهاية البحث، حتى لا يثقل البحث بكثرة الفهارس.

#### خطة البحث:

تتكون خطة البحث من تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدعاء.

المطلب الثاني: تعريف الكفر.

المطلب الثالث: حاجة الكافرين لدعاء الله عَجَلاً.

المبحث الأول: دعاء الكافرين في الحياة الدنيا.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: دعاء الكافرين لطلب الدنيا.

المطلب الثانى: دعاء الكافرين إذا مسهم الضر.

المطلب الثالث: دعاء الكافرين في مواجهة الأنبياء.

المطلب الرابع: دعاء الكافرين على أنفسهم.

المطلب الخامس: دعاء الكافرين إذا رأوا بعض العلامات الكبرى لقيام الساعة.

المطلب السادس: دعاء الكافرين عند الموت.

المبحث الثاني: دعاء الكافرين في الآخرة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعاء الكافرين عند قيام الساعة.

المطلب الثاني: دعاء الكافرين في النار.

المبحث الثالث: إجابة دعاء الكافرين. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أَمْر الكافرين بدعاء الله تعالى.

المطلب الثاني: حُكم القرآن على دعاء الكافرين.

المطلب الثالث: الحِكم التي لأجلها قد يجيب الله عَظِل بعض دعاء الكافرين.

ثم الخاتمة، وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

#### التمهيد

وفيه مطلبان:

#### المطلب الأول: تعريف الدعاء.

الدعاء لغة: الطلب والابتهال: يُقال: دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير (١)، ودعا الله: طلب منه الخير، ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر(1).

والدعاء في اللغة مأخوذ من مادة (دعو)، التي تدلّ في الأصل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك<sup>(٣)</sup>.

الدعاء في الاصطلاح:

(١) ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد. "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، غير محدد لسنة الطبع)، ١٩٤/١.

<sup>(</sup>٢) ينظر: مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، وآخرون. "المعجم الوسيط". (ط١، القاهرة: دار الدعوة، غير محدد لسنة الطبع)، ١: ٢٦٨.

<sup>(</sup>٣) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط١، القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢٧٩/٢.

#### دعاءُ الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. عبدالله بن عيدان الزهراني

تنوعت تعريفات العلماء للدعاء، ومن هذه التعريفات ما قاله الخطابي بأنّ الدعاء: "هو استدعاء العبد ربه عَلَى العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعى، وطلب كشف ما يضره ودفعه" (٢).

"والتعريف المختار: أنّ الدعاء هو التضرّع إلى الله والافتقار إليه بطلب تحقيق المطلوب أو دفع المكروه بصيغ السؤال والخبر "(٣).

<sup>(</sup>١) الخطابي، حمد بن محمد. "شأن الدعاء". تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق. (ط٣، دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٩٢م): ٤.

<sup>(</sup>٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٥٥م)، ١٠: ١٠.

<sup>(</sup>٣) المهيزع، خلود بنت عبدالرحمن. "الدعاء وأحكامه الفقهية". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٤هـ): ٠٤.

## المطلب الثاني: تعريف الكفر.

الكفر في اللغة: الستر والتغطية، ويطلق الكفر على الجحود، وهذا المعنى أيضا مأخوذ من معنى الكفر في اللغة، وهو الستر والتغطية، قال ابن فارس: "وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها"(۱)، و"الكُفْر: تَغْطِيَة الحق بِالْبَاطِلِ"(۲)، والكافر إذا أُطلِق يراد به من لا يؤمن بالله، فكل شَيْء غطى شَيْئا فقد كفره، وَمِنْه سمي الكافر لِأَنَّهُ يستر نعم الله(۲)، وإنما "سمّي الكافر كافراً لأنّ الكفر غطّى قلبه كله، وإيضاحه أنّ الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر، أي ذو تغطية لِقَلْبِهِ بكفره، كما يُقال للابِس السّلاح: كافر، وهو الذي غطّاه السلاح...، وفيه قولٌ آخر:...وذلك أنّ الكافر لَمّا دعاه الله جلّ وعزّ إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة يُنعِم بها عليه الكافر لَمّا دعاه الله جلّ وعزّ إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة يُنعِم بها عليه

<sup>(</sup>۱) ابن فارس، أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط۱، القاهرة: دار الفكر، ۱۹۱۹م)، ۱۹۱/۰.

<sup>(</sup>٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإكليل في استنباط التنزيل". تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م): ٧٤.

<sup>(</sup>٣) ينظر: الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات". تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، غير محدد لسنة الطبع): ٢٤٧، والمناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين. "التوقيف على مهمات التعاريف". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٨٢.

إِذَا قَبِلها، فلما ردّ ما دعاه إليه مِن توحيده كان كافِراً نعمةَ الله أي مُغَطِّياً لها بإبائه، حاجباً لها عنه"(١).

والكفر اصطلاحا: هو نقيض الإيمان. والإيمان عند أهل السنة: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فيحصل الكفر بأي شيء يناقض الإيمان، سواء كان بالقلب أو باللسان أو بالأفعال فعلاً أو تركاً، فيكون بالقلب؛ كاعتقاد إله مع الله، أو ببغض النبي في أو بغض الإسلام أو القرآن، ويكون باللسان؛ كالتلفظ بسبِّ الله تعالى أو رسوله، أو الاستهزاء بدينه، ويكون بالفعل؛ كالسجود لغير الله في الله المنظل.

وقد تنوعت تعريفات العلماء للكفر، فقد عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه: "عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"(٢).

وقال ابن القيم: "الكافر من جحد توحيد الله وكذّب رسوله، إمّا عنادا، وإمّا جهلا وتقليدا لأهل العناد"(٣).

<sup>(</sup>۱) الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب. (ط۱، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ۲۰۰۱م)، ۱۱۲:۱۰.

<sup>(</sup>٢) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١٢: ٣٣٥.

<sup>(</sup>٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "طريق الهجرتين وباب السعادتين". (ط٢، القاهرة: دار السلفية، ١٣٩٤هـ)، ١: ٤١١.

#### مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

وجاء في الموسوعة الفقهية: "والكفر شرعا: هو إنكار ما علم ضرورة أنه من دين محمد على كإنكار وجود الصانع، ونبوته عليه الصلاة والسلام، وحرمة الزنا، ونحو ذلك"(١).

والمقصود بدعاء الكافرين ربَّ العالمين في القرآن: الأدعية التي ذكر الله ﷺ في القرآن الكريم أنّ الكافرين يدعون بما ربِّم في الدنيا أو سيدعونه بما في الآخرة.

ويدخل في قولنا: (الكافرين) جميع أصناف أهل الكفر من المشركين، والمنافقين، وغيرهم ممن يصدق وصفه بالكفر الذي هو نقيض الإيمان.

#### المطلب الثالث: حاجة الكافرين لدعاء الله على الما

خلق الله تعالى الخلق وفَطرَهم على عبادته، والتعلّق به، وإخلاص دعائه ومناجاته؛ كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِدُ وَجُهكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّقِي وَعَلَمْ النَّاسَ عَلَيْهاً ﴾ [الروم: ٣٠]، فثبت المؤمنون على تلك الفطرة بفضل الله، وضل الكافرون فخالفوا تلك الفطرة، واستنكفوا عن عبادة الله وحده، وتعلّقوا بغيره؛ لكنهم يضطرّون للرجوع إلى تلك الفطرة حال ضعفهم وحاجتهم، فهم يعلمون أنه لا قاضى للحاجات على الحقيقة

<sup>(</sup>١) "الموسوعة الفقهية الكويتية". (ط١، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٧ ١٤هـ)، ٣٥: ١٤.

إلا الله، ولا مُنجي لهم من الكربات حقّاً إلا الله، ولا قادر على إجابة دعاء من يدعو وإعطاء من يسأل إلا الله، "والاعتراف بالله مَركُوزٌ في طلائع العالم، وهم مجبولون على أنه المتصرّف في الأشياء، ولذلك إذا حقّت الحقائق رجعوا إليه كلُّهم مؤمنهم وكافرهم"(١)، فوقت حدوث نازلة، وحلول كرب، فإنّ النفوس تتّجه إلى الله القدير السميع البصير؛ ليكشف السوء، ويجيب دعوة المضطر، وينجي من الكرب، ويعافي من الابتلاء، فلا غيره يجيب داعياً، أو ينصر مظلوماً، أو يغيث ملهوفاً، أو يبسّر عسيراً، أو ينفّس كرباً، ﴿ وَمَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَالِ ﴾ [الرعد: ١١].

والإنسان خصوصاً مخلوق ضعيف؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، وهذا الضعف يحتاج بسببه صاحبه إلى مَن يمدّه بالقوة، ويؤيده بالقدرة، ويخلِّصه من الآفات، ويجلب له الخيرات، يناجيه فيجيبه، ويسأله فيعطيه، ويعوذ به فيؤمِّنه، ويفزع إليه فيغيثه.

والكافرون يزيدهم كفرهم ضعفاً فوق ضعف الخِلقة، فإذا نزل بساحتهم عذاب، أو أصابهم ضرّ، وظنوا حصول هلاكهم به، فزعوا أشدّ الفزع، وذهلوا كلّ الذهول، وتبرّؤوا من كل المعبودات، ونسوا كل الموجودات، وأهمّتهم أنفسهم، فقادتهم الضرورة إلى الرجوع إلى ما فُطِروا

<sup>(</sup>١) أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، ٦: ٣٤.

## مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

عليه من اليقين بأنّ الله جلّ وعلا هو القادر وحده أن يكشف ما نزل بحم، فأَخُوا في السؤال، وأخلصوا في الدعاء، ووعدوا بالتوبة، ولكن الله - مع علمه بما سيؤول إليه حالهم من العودة للكفر - يجيبهم إن شاء؛ كما قال سبحانه: ﴿ قُل اللّهُ يُنْجِيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِ كَرْبِثُمَّ أَنتُمْ تَشْرَكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٤].

فتقرّر بهذا شدة حاجة الكافرين لدعاء الله ﷺ في كل حال، وفي وقت الضراء، وحصول البلاء، على وجه الخصوص.

# المبحث الأول: دعاء الكافرين في الحياة الدنيا وفيه ستة مطالب:

#### المطلب الأول: دعاء الكافرين لطلب الدنيا

قد يدعوا الكافرون الله تعالى حال الرخاء بأدعية يسألونه فيها شيئاً من أمور الدنيا، ومن هذه الأدعية التي يدعوا بها الكافرون الله وعلى الطلب شيءٍ من أمور الدنيا ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنْسِكَكُمُ فَأَذَكُرُوا الله كَذِرَكُورُ ءَابَآءَكُمْ أَوَ أَشَدَ فَضَيْتُم مَّنْسِكَكُمُ فَأَذَكُرُوا الله كَذِرَكُورُ ءَابَآءَكُمْ أَوَ أَشَدَ فِي فَوْلَه تعالى في عول فَيْ الله في الدنيا والآخرة، ولا يكونوا مثل التوجيه للمؤمنين بأن يسألوا الله خيري الدنيا والآخرة، ولا يكونوا مثل

المشركين الذين إنما يسألونه الدنيا فقط (١)، فقد "كانت عادتهم في الجاهلية أن يدعوا في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا، وجاء النهي في صيغة الخبر عنهم"(٢)، فكان المشركون إذا حجّوا البيت الحرام، ووقفوا في المشاعر المقدّسة دعوا الله بقولهم: "اللهم ارزقنا إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً وإماءً وأموالاً، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة ولا المغفرة"(٣)،

(١) ولذا فقد اختلف المفسرون في تعيين الذين حكى الله عنهم أنهم يقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا من هم؟، فقال قوم: هم الكفار، وقال آخرون:

الدعاء على طلب الدليا من هم:، فقال قوم. هم الكفار، وقال الحرول. هؤلاء قد يكونون مؤمنين ولكنهم يسألون الله لدنياهم، لا لأُخراهم، ويكون سؤالهم هذا من جملة الذنوب، حيث سألوا الله تعالى في أعظم المواقف، وأشرف المشاهد حطام الدنيا وعرضها الفاني، معرضين عن سؤال النعيم الدائم في الآخرة، وقد يقال لمن فعل ذلك إنه لا خلاق له في الآخرة، وإن كان الفاعل مسلماً، كما روي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ يَشْتَرُونَ اللَّهِ وَالْتَكِنَ لَهُمْ فِ اللَّخِرة ﴾ [آل عمران: ٧٧]، أنها نزلت فيمن أخذ مالاً بيمين فاجرة. ينظر: الرازي، محمد بن عمر. "تفسير ناحة. "لله عمر. "تفسير عمر. "تفسير

الرازي". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٥: ٣٣٥.

(٢) ابن عطية، محمد عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٤٢١هـ)، ١: ٢٧٦. وينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر.

"التحرير والتنوير". (ط١، تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م)، ٢: ٢٤٧.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط٣،

### مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها، فلا يسألون ربحم إلا متاعها (١)، وقوله تعالى: ﴿ مِنْ خَلَتِ ﴾: "أي مِن حظَ ونصيبٍ؛ لاقتصار همِّه على الدنيا، فهو بيانٌ لحاله في الآخرة، أو (مِن طلبِ حَلاقٍ)، فهو بيانٌ لحاله في الدنيا، وتأكيدٌ لقصر دعائه على المطالب الدنيوية "(٢).

"فالمقصود من الآية التعريض بذم حالة المشركين، فإنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة"(٢)، ودعاء الكافرين المذكور في هذه الآية هو أنموذجٌ لأدعيتهم في الدنيا، فهم إن دعوا الله في الدنيا وقت الرخاء فإنما

القاهرة: ش مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م)، ٤: ٢٠١، وينظر: السمرقندي، نصر بن محمد. "بحر العلوم". تحقيق: علي محمد معوّض، وآخرون. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، غير محدد لسنة الطبع)، ١: ١٣٤، وينظر: القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". (ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤م)، ٢: ٣٢٤.

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٤: ٢٠١، والكلبي، محمد بن أحمد. "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: محمد سالم هاشم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ١: ١١٦.

<sup>(</sup>۲) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم". (ط۲، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ)، ١: ٢٠٩، وينظر: رضا، محمد رشيد. "تفسير المنار". (ط۱، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ٢: ١٨٩.

<sup>(</sup>٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢: ٧٤٧.

يدعونه بطلب الدنيا فقط، ولا يسألون شيئاً من نعيم الآخرة والنجاة من عذابها، كما أنهم في دعائهم هذا حال الرخاء لم يذكر الله عنهم إخلاصاً في الدعاء، ولم يعدوا بترك الكفر، كما يحصل منهم عند إصابتهم بالشِّدة والضراء في الدنيا، ولم يتوسلوا حال دعائهم في الرخاء بإيمان، كما يحصل منهم في الآخرة.

ويظهر من دعائهم بقولهم: ﴿ رَبَّنَا عَانِنَا فِي ٱلدُّنِيا ﴾ أنهم إنما يسألون أيّ شيءٍ يكون فيه تنعيمهم في الدنيا، فلم يذكر الله تعالى أنهم سألوه حسنة كما أخبر عن المؤمنين، وإنما كان دعاؤهم لطلب أن يُعطوا من عرض الدنيا الزائل يتمتعون به كما تتمتع الأنعام، فلذلك ذمّ الله حال دعائهم هذا، "وتضمَّن هذا الذَّمُّ التّنفير عن التشبُّه بِمَنْ هو كذلك" (١)، وقد أثنى الله على المؤمنين في دعائهم إياه، وبيّن أنه هو الدعاء النافع الذي ينبغي أن يُسأل الله به، ووعدهم بإجابته، حيث قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُ مِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا عَانِيا فِي ٱلدُّنِيا حَسَنَةً وَفِي اللهُ سَرِيعُ ٱلْجُسَابِ ﴿ وَمِنْهُ مِ البقرة: [٢٠١ - ٢٠٠].

<sup>(</sup>۱) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". (ط۲، دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ۱۹۹۸م)، ۱: ۵۰۸.

#### المطلب الثاني: دعاء الكافرين إذا مسهم الضر

من أدعية الكافرين لرب العالمين التي كثر ذِكْرُها في القرآن الكريم دعاؤُهم عندما يمسهم الضر، ويحل بحم الهلاك، وتحصل لهم المشقة الشديدة، وينزل بحم الكرب العظيم، فإنهم والحالة هذه يفزعون إلى الدعاء، وينادون رب الأرض والسماء، ويسألونه كشف الضر ودفع البأساء.

ومن أمثلة دعاء الكافرين حال نزول الضرّاء بهم ما ذكره الله في قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَ ٱلنَّاسَ ضُرُّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنهُ رَحْمَةً وَلاء فَرِيقٌ مِنْهُم بِرَيْهِم يُشْرِكُونَ ﴿ آ ﴾ [الروم: ٣٣]، أي: وإذا مس هؤلاء المشركين –الذين يجعلون مع الله إلها آخر – ضُرُّ ، فأصابتهم شِدّة وجدب ونحو ذلك، ﴿ دَعَوْا رَبَّهُم ﴾ أي: أوردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به ﴿ مُنيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ أي: راجعين إليه تعالى من دعاء غيره واستغاثوا به ﴿ مُنيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ أي: راجعين إليه تعالى من دعاء غيره وعلى من الأصنام وغيرها؛ لِيَنْجُوا مِنْ ذلك الضُّرِ ، وتركوا أصنامهم ليعلمهم أنه لا يكشف الضُّرُ إلا هو تعالى (١).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۰: ۱۰۱، والقيسي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي. (ط:۱)

وذكر الله تعالى أنّ الإنسان الكافر حين تصيبه الضراء يدعو الله على كل أحواله سائلاً إيّاه كشف الضر، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَنَ ٱلضُّرُ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ۚ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَابِمًا فَلَمّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرّهُۥ مَرَّ الْإِنسَنَ ٱلضُّرُ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ۚ أَوْ قَاعِدًا لَوْ قَابِمًا فَلَمّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرّهُۥ مَرَّ كَانُولُك رُبِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّةُۥ كَذَلِك رُبِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ كَانُولُك رُبِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَمعنى لَا الله والسؤال بتضرُّع الله وعنى القيا الآية: أنّ الإنسان إذا أصابه من الضر ما يشعر فيه بشدة ألم أو خطر على نفسه؛ كغرق ومسغبة وداء عضال، دعا الله مُلِحّاً في كشفه طَالِبًا مِنَ الله تَعَالَى إزالة تلك المحنة، وتبديلها بالنعمة والمحنة، فيدعو في سائر أحواله بإلحاح وتضرع أن يكشف الله عنه ذلك السوء، فإذا كشف أحواله بإلحاح وتضرع أن يكشف الله عنه ذلك السوء، فإذا كشف تعالى عنه ذلك أعرض عن الشكر، ولم يتذكر الضر الذي أصابه،

الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مد. "تفسير السمعاني". (ط١، المدينة المنورة: دار البخاري، ١٩٩٢م)، ٤: ١٢، السمعاني". (ط١، المدينة المنورة: دار البخاري، ١٩٩٢م)، ٤: ١٢، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٤: ٣٣، والبيضاوي، عبدالله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٤: ٢٠٧، وينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨: ٣٩١، وينظر: الألوسي، محمود أبو الفضل. "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١١: ٢٤.

<sup>(</sup>١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١١٠:١١٠.

ونسي الإنعام الذي تفضّل الله به عليه، وعاد إلى ما كان عليه من الشرك بالله تعالى والإعراض عن عبادته، وإنما ذكر الله ذلك تنبيها إلى الله أنّ هذه الحالة مذمومة، فينبغي للمؤمن أن يكون دائم اللجوء إلى الله تعالى، دائم الدعاء في الرخاء ووقت الضراء، حتى يكون عابداً لله حقاً (۱). ثم يقول الله تعالى في ختام هذه الآية: ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: كما زُيِّن لهذا الإنسان الذي وصف الله وَ عَلَى صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، كذلك زُيّن للذين أسرفوا في الكذب على الله، فتجاوزوا إلى غير ما أذن الله لهم، ووقعوا في الشرك به جل وعلا (۲).

(۱) ينظر: الرازي، "تفسير الرازي"، ۱۷: ۲۲۰، وينظر: الخازن، علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد علي شاهين. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱٤١٥هـ)، ۲: ۳۱.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ١٥: ٣٧، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٥: ٣٢٣١، وينظر: البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٢: ٣١٤، وينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى. "تفسير المراغي". (ط١، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، "تفسير المراغي". (ط١، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

وقوله تعالى: ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ۚ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآبِمًا ﴾ [يونس: ١٦]، قَالَ أَهِلِ التَّفْسِيرِ: هَذَا يُحْتَملِ مَعْنِينِ:

أَحدهما: إِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ الضّر لجنبه أَو قَاعِدا أَو قَائِما دَعَانَا، وقد استبعد هذا المعنى بعض المفسرين، وحكم بضعفه (١).

والآخر: إِذَا مَسَ الإِنسانَ الضرّ دعانا لجنبه أَو قاعِداً أَو قائما، يعنى: على هذه الأحوال كلِّها (٢).

وهذا الأخير هو الذي يدلَّ عليه سياق الآية، فالمراد أن الكافر إذا مسته الضر يتوجّه في جميع أحواله إلى الله تعالى بالدعاء، "فلا يزال

<sup>(</sup>۱) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد. "التفسير البسيط". تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. (ط١، الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٠٠هـ)، ١١: ١٣٨، وينظر: العكبري، عبد الله بن الحسين. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي. (ط١، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٢٠١٢، ٢٠٠٠.

<sup>(</sup>۲) ينظر: الزجاّج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط۱، بيروت: عالم الكتب، ۱۹۸۸م)، ۳: ۹، والواحدي، "التفسير البسيط"، ۱۱: ۱۳۷، والسمعاني، "تفسير البسعاني"، ۲: ۳۲۹، والبغوى، "معالم التنزيل"، ۲: ۲: ۲: ۱۳.۵.

## مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر"(۱)، فيكون حال اضطجاعه يدعو الله، وحال قيامه يدعو الله، وخال قيامه يدعو الله، وخال قيامه يدعو الله، وذلك لعلمه أنه لا يستطيع أحدٌ كشف الضر على الحقيقة غير الله تعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُكِ اللهُ قُلُ أَلْمَ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللهُ بِضُرِّ هَلُ هُنَ لَيْهُ إِنْ أَرَادَنِي ٱللهُ بِضُرِّ هَلُ هُنَ كَثَيْهُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللهُ بِضُرِّ هَلُ هُنَ كَمْيَكِتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِّيى الله عَلَيْهِ يَتُوكَ لُهُ أَلُهُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللهُ بِضُرِّ هَلُ هُنَ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِّيى اللهُ عَلَيْهِ يَتُوكَ لُهُ أَلُهُ مَا لَهُ اللهُ إِللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ يتَوَكَّلُ ٱلمُتَوكِّلُونَ الله ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقد بين الله تعالى حال الكفار حين يلجؤون إليه عند حصول الضرر لهم، وأنّ ذلك اللجوء والدعاء إنما يكون عن غير يقين منهم ولا إيمان، فلذلك ليس بِمُعْتَدِّ به، فيقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَ ٱلْإِنسَكَنَ ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ, مُنِيبًا إِلَيْهِ مُنَ قَبْلُ وَجَعَلَ رَبَّهُ, مُنِيبًا إِلَيْهِ مُن قَبْلُ وَجَعَلَ لِيَعْمَةُ مِنْهُ نِسَى مَا كَانَ يَدْعُوۤ اللّهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِيّهِ أَندَادًا لِيضِلَ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْعَابِ ٱلنّارِ اللهِ أَندَادًا لِيضِلَ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْعَابِ ٱلنّارِ اللهِ الزمر: ٨].

والإنسان في هذه الآية وأمثالها - كما تقدّم - يراد به الكافر، ويستشهد لذلك في هذا الموضع بدلالة ما وصفه به في الآية من اتخاذ الأنداد لله تعالى، أي: وإذا مَسَّ الكافر بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدّة في معيشته، وجهد وضيق، ﴿ دَعَا رَبَّهُ, مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾، أي

<sup>(</sup>١) الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٣٣٢.

<sup>(</sup>۱) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {ليَضِلَّ عَن سَبيله}، بفتح الياء، أَي لِيضِل هو، وقرا الباقون {لِيُضِلَّ} بِضَم الْيَاء أَي لِيُضِلَّ غَيره. ينظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. "حجة القراءات" تحقيق: سعيد الأفغاني. (ط۱، بيروت: مؤسسة الرسالة، غير محدد لسنة الطبع): ۲۱۹، وينظر: الداني، عثمان بن سعيد. "التيسير في القراءات السبع". تحقيق: اوتو تريزل. (ط۲، بيروت: دار الكتاب العربي، ۲۹۸۹م): ۲۳۱، وينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد. "تجبير التيسير في القراءات العشر". الحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. (ط۱، عمّان: دار الفرقان، ۲۰۰۰م): ۲۶۵، وينظر: الدمياطي، أحمد بن محمد. "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر". تحقيق: أنس مهرة. (ط۳، بيروت: دار الكتب العلمية، ۲۰۰۱م): ۲۶۳.

مِنْ أَصِّحَابِ ٱلنَّارِ ﴾، أي: قل يا أيها الرسول لهذا الكافر: تمتع بكفرك إلى أن تستوفي أجلك، فإنك في الآخرة من الماكثين في النار، وهذا لفظ معناه التهدد والوعيد، مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِيَضِلُواْ عَن سَبِيلِهِ أَ قُلُ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمُ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿ ثَ ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فقولُهُ ﴿ تَمَتَّعُ بِكُفْرِكَ ﴾، ليس المراد منه الأمر، بل المراد منه الزجرُ وأن يعرفه قلة تَمتُّعِهِ في الدنيا ثم مصيره إلى النار، وفيه من ذم الكفر ما لا يخفى كأنه قيل: إذ قد أبيت ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته، وهي الخلود في النار (١).

وهذه الآية وأمثالها من الآيات التي ذكرت أدعية الكافرين توضِّح حالهُم حين نزول الضرّاء بهم في الدنيا، فإنّ "طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام متناقضة، وذلك لأنهم إذا مسّهم نوع من أنواع الضرِّ لم

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۱: ۲۲۲، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ٣: ٢١٠، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ١٠: ٣٠٣، والرخشري، "الكشاف"، ٤: ٢١، والرخشري، "الكشاف"، ٤: ٢١، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ٢١، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٥: ٢٣٨، وابن عادل، عمر بن علي الحنبلي. "اللباب في علوم الكتاب". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١٦: ٢١، ٤٨١، والألوسي، "روح المعانى"، ٢١: ٢٣٠، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٤٢.

يرجعوا في طلب دفعه إلا إلى الله، وإذا زال ذلك الضرُّ عنهم رجعوا إلى عبادة الأصنام، ومعلومٌ أنهم إنما رجعوا إلى الله تعالى عند حصول الضرِّ، لأنه هو القادر على إيصال الخير ودفْعِ الضرِّ، وإذا عرفوا أنّ الأمر كذلك في بعض الأحوال كان الواجب عليهم أن يعترفوا به في كلِّ الأحوال فثبت أنّ طريقتهم في هذا الباب مُتناقِضةٌ "(١).

<sup>(</sup>١) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٦: ٤٢٧.

قال: إنّما حصل بِكسبي، وإن كان صِحّة قال: إنّما حصل ذلك بسبب العلاج الفلايّ، قال الله تعالى رادّاً على مَن ينسب الفضل لنفسه: ﴿بَلَ هِيَ العلاج الفلايّ، قال الله تعالى رادّاً على مَن ينسب الفضل لنفسه: ﴿بَلَ هِيَ فِتْ فَتَنَةُ ﴾ أي: بل عطيّتُنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنة لهم، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبرناهم به، ﴿ وَلَكِنَ اللّهُ مُمْ ﴾ لجهلهم وسوء رأيهم ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لأي سبب أعطوا ذلك، فلهذا يفترون الكذب، وينسبون النعمة لأنفسهم (١).

ومن دعاء الكافرين حال خوفهم من وقوع الضرِّ بَمَم في الدنيا: ما يكون منهم إذا ركبوا البحر فتحرَّكت الريح وهاجت الأمواج وكادت سفنهم أن تغرق، فهنالك يخلصون لله الدعاء، ويسألونه النجاة، وقد ذكر الله تعالى في عدة مواضع من كتابه حالهم ذلك، ومن تلك المواضع ما يبينه قوله رَجَّلَا: ﴿ هُواللَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيج طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتُهَا رِيحُ عَاصِفُ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِن كُلِ مَكانِ

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۱: ۳۰۳، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۱۰: ۲۳۰، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ۲۳۰، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ۳۳۰، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۲: ۲۰۸، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ۱۰: ۲۲، وابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ۷: ۱۰، والشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير". (ط۱، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ه)، ٤: ۷۳۰، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"،

وَظُنُواْ أَنَهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُواْ اللّهَ مُغَلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَهِنَ أَجْيَلْنَا مِنْ هَالِهِ لَكُونَكِ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴿ هُو اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

<sup>(</sup>١) قرأ ابن عامر وأبو جعفر: {ينشُرُكم}، بالنون والشين، أَي يبثُكم ويفرِّقكم، وهو من النشر ضد الطيّ، وقرا الباقون {يُسَيِّرُكُم} بإلسين والياء، من التسيير، أَي: يحملكم على السير. ينظر: ابن زنجلة، "حجة القراءات": ٩ ٣٢، والداني، "التيسير في القراءات السبع": ١ ٢١، وابن الجزري، "تحبير التيسير في القراءات العشر": ٣٩٨، والدمياطي، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر": ٣١٨.

العاصف، ويقال: من هذه الأهوال، ﴿ لَنَكُونَكَ مِنَ ٱلشَّكِرِينَ ﴾ أي: من الموحدين المطيعين (١).

ومع أنهم أكدوا وعدهم بالشكر بثلاث مؤكدات، أولها: لام توطئة القسم، وثانيها: نون التوكيد، وثالثها: التعبير بصيغة فرمِن الشّكرِينَ لا دون لنكونن شاكرين، بما يفيده مِن عزمهم على أن يكونوا مِن تلك الزُّمرة التي ديدنها الشكر؛ لكن هذا الوعد منهم بشكر الله وتوحيده لا يلبث أن ينتقض بإشراكهم بعد إذ نجّاهم الله من الغرق الذي كاد أن يهلكهم، ويصور القرآن هذا الحدث بقوله سبحانه: فلم المُعنَّم إذا هُم يَبَعُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ لا يونس: ٣٣]، "أي: نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة؟!"(٢).

قال القرطبي: "وفي هذا دليلٌ على أنّ الخَلْق جُبِلُوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأنّ المضطرّ يُجاب دعاؤه، وإنْ كانَ كافراً، لِانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحِد ربِّ الأرباب"(٣).

<sup>(</sup>۱) ينظر: السمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۱۱۰، والبغوي، "معالم التنزيل"، ۲: ٥٤٠ والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ۳: ۱۰۹، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ٩٥٠، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٤: ٩٣٠، وأبو المعاني"، ٢: ٩٣٠.

<sup>(</sup>٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٣٦١، وينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١١١ ١٣٨٠.

<sup>(</sup>T) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"،  $\Lambda$ : (T)

ويؤكِّد هذه الحقيقة قول الله عَلَى مُخاطباً الكافرين: ﴿ وَإِذَا مَسَكُمُ الضُّرُ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلّا إِيّاهُ فَامّا بَعَنكُو إِلَى ٱلْبَرِ أَعْرَضُتُم وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿ الله عَلَى الله عَلْمُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى

فهم وإن حاولوا طمس فطرة توحيد الله التي فطر الناس عليها، إلا أنها تظهر حال الشدة ولا يستطيعون مغالبتها، فلا يتضرعون في حال الشدة لما يعبدون من دون الله لعلمهم أنه لا يملك لهم أحد جلب النفع أو دفع الضر على الحقيقة إلا الله جل وعلا؛ فلذلك أخلصوا له الدعاء حال الشدة (۱).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۷: ۹۷: والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۳۲، والبغوي، "معالم التنزيل"، ۳: ۱٤٤، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ۳: ۲۱، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۱: ۳۷۱، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ۹٦.

ومعنى ﴿ ضَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَا إِيَّاهُ ﴾ أي: "ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده، فإنكم لا تذكرون سواه، ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم، ولا تُخطِرون ببالكم أنّ غيره يقدر على إغاثتكم، أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوّين. ويجوز أن يراد: ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم، ولكنّ الله وحده هو الذي ترجونه وحده"(١).

<sup>(</sup>١) الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٦٧٩.

<sup>(</sup>٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (ط١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م)، ١٤ ٤٧٨.

ويأتي تصوير لحظات مصارعة مراكب الكفار في البحر للجج الأمواج، وخوفهم من الهلاك، ولجوؤهم لدعاء الله تعالى، في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا عَشِيَهُم مَّوَجُ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللّه مُخْلِصِينَ لَهُ اللّيِّينَ فَلَمَّا جَمَّهُم اللّهَ عُولِ الله عَلَمُ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اللّيِينَ فَلَمَّا جَمَّهُ وَمَا يَجْمَدُ بِعَاينِينَا ٓ إِلّا كُلُّ خَتَارِ كَفُورِ الله إلى البّينَ الله المعنى، ويكون لسواده وكثرته مثل الظلل، والظلة: كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو عيرهما. ﴿ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اللّينَ ﴾ يعني: أخلصوا له بالدعوة ﴿ فَلَمَّا عَيرهما. ﴿ دَعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اللّينَ ﴾ يعني: أخلصوا له بالدعوة ﴿ فَلَمَّا عَيرهما. ﴿ وَمَنْهُم مِنْ اللّه عَنى المقتصد: "عدل في بَعَنى، ومنهم من يكفر ولا يؤمن، وقيل في معنى المقتصد: "عدل في فعله، على معنى الْوَفَاء بِمَا وعده، وَمِنْهُم من قَالَ: مقتصد أي: مقتصد في الكفر والظلم، خفض مِن غُلَوَائه (١)، وقيل: معنى "مُقْتَصِدٌ: متوسط في الكفر والظلم، خفض مِن غُلَوَائه (١)، وانزجر بعض الانزجار (١٦)، فيكون المعنى: أنّ مِن الكافرين مَن يعود إلى كفره بعد أن عاهد الله على الإيمان إن هو نِجّاه، لكنّه ليس موغِلاً في الكفر والعداوة للحق وأهله كما كان

(١) السمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ٢٣٩.

<sup>(</sup>٢) (الغُلَوَاء): الشِّدَّة، وغُلَوَاء الشَّباب: أوَّلُه وشِدَّتُه، ومعنى "خفض من غلوائه": خفَّه، مد حدَّته ومد مطالبه المتشدّدة. بنظ: ابن منظو، محمد بن مكرم

خَفَّف من حِدَّته ومن مطالبه المتشدِّدة. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط۳، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٦٣٠.

<sup>(</sup>٣) الزمخشري، "الكشاف:"، ٣: ٥٠٣.

قبل يحصل له ما حصل من الشدّة وتوقع الهلاك ثم النجاة بعد ذلك، وقد رجّع ابن عاشور هذا القول لدلالة السياق عليه، حيث قال: "والْمَقام دليل على أنّ الْمُراد الاقتصاد في الكفر، لوقوع تذييله بقوله: ﴿ وَمَا يَجَمَدُ بِعَاينِنِنَا إِلّا كُلُّ خَتَّارِكَ فُورٍ ﴾، ولقوله في نظيره في سورة العنكبوت: ﴿ فَلَمّا بَحَنهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ أَن ﴾ [العنكبوت: أوقد يُطلق الْمُقْتَصِدُ على الذي يتوسط حالُه بين الصّلاح وضدِه؛ كما قَالَ تَعَالَ: ﴿ مِنهُمْ أَمَةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ الله المُلكة والمائدة: ٦٦] "(١).

وقيل: "مُقْتَصِدٌ: سالك القصد أي الطريق المستقيم لا يعدل عنه لغيره، وأصله استقامة الطريق...، والمراد بالطريق المستقيم التوحيد،...أي: فمنهم مقيم على التوحيد،...وقيل: مقتصد من الاقتصاد بمعنى التوسط والاعتدال"(٢). ثم ذكر المشرك الذي ينقض العهد فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَجُمَدُ بِعَايَدُنِنَا ﴾ يعني: لا يترك العهد ﴿ إِلَّا العهد فَقَالِ خَتَارٍ كَفُورٍ ﴾ يعني: غدّارٍ بالعهد، كفورٍ لله رَجَه في نعمه (٣).

<sup>(</sup>١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢١: ١٩١.

<sup>(</sup>٢) الألوسي، "روح المعاني"، ١١: ١٠٣.

<sup>(</sup>٣) ينظر: السمرقندي، "بحر العلوم"، ٣: ٣٠.

الحالة الأولى: مجرّد ركوبهم البحر يجعلهم خائفين من الهلاك بالغرق، فيخلصون لله الدعاء ويسألونه أن ينجيهم، وهذه الحالة نجد تصويرها في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلِكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُغْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَدُهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿ العنكبوت: ٦٥].

فبيّن الله تعالى في هذه الآية وأمثالها أنّ المشركين بمجرّد ركوبهم البحر يتوجهون إلى الله بالدعاء ولو لم يحصل لهم اضطراب سفن، أو هيجان ريح، أو تلاطم أمواج، وذلك بسبب ما يعتريهم من الخوف عند ركوبهم البحر بسبب قلة فهمهم بركوبه؛ لأنّ أكثر أسفارهم كانت في البراري<sup>(۱)</sup>. "أي: فإذا ركب هؤلاء المشركون في السفينة في البحر فخافوا الغرق والهلاك أخصلوا لله الدعاء، وتركوا آلهتهم التي فيكون حالهم حال مَن أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا فيكون حالهم حال مَن أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا هو جل وعلا".

<sup>(</sup>١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢١: ٣٢.

<sup>(</sup>٢) القيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٩: ٥٦٤٨.

<sup>(</sup>٣) ينظر: البيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ١٩٩، والألوسي، "روح المعاني"، ١١٤: ١١.

والعنكبوت: ٦٤]، إشارة إلى أنّ مِن أسباب إشراك أولئك المشركين تعلُّقهم بالدنيا، فإذا خافوا الموت رجعوا إلى فطرة التوحيد وإفراد الله بالدعاء، فإذا أنجاهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا والشرك بالله ودعاء غيره تعالى (١)، "وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم: لولا الله والرَّئِيسُ أو الملَّاحُ لَعَرِقْنا، فيجعلون ما فعل الله هم مِن النّجاة قِسْمَةً بين الله وبين خلقه "(١).

والحالة الثانية: رؤيتهم لما يخيفهم أكثر حال ركوبهم البحر؛ كارتفاع الأمواج التي تُرى مثل الجبال في البحر من عظمتها وارتفاعها، وهذه الحالة نجد تصويرها كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيهُم مَّوَّجٌ كَالظُّلُلِ وَعَدْهُ الْلَه نُخْلِصِينَ لَهُ اللِّينَ فَلَمَّا نَجَّنَهُم إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقَنْصِدُ وَمَا يَجَمَدُ وَعَوْلُهُ هَا: ﴿ وَإِذَا غَشِيهُم مُّقَنْصِدُ وَمَا يَجَمَدُ وَمَا يَجَمَدُ وَعَالِنِنَا إِلَا كُلُ خَتَارٍ كَفُورٍ ﴿ اللَّهِ القمان: ٣٦]، فقوله هنا: ﴿ فَلَمَّا فِكُنهُمْ إِلَى اللَّبِرِ فَمِنْهُم مُّقَنَصِدُ ﴾ "فلمّا ذكر هاهنا أمراً عظيماً وهو الموج الذي كالجبال بقي أثر ذلك في قلوبهم قال: ﴿ فَلَمَّا نَجَنَهُمْ إِلَى الْبَرِ فَمِنْهُم أَلَى الْبَرِ فَمِنْهُم (مُقْتَصِدٌ في قلوبهم قال: ﴿ فَلَمَّا نَجَنَهُمْ إِلَى الْبَرِ فَمِنْهُم أَلَى الْبَرِ فَمِنْهُم (مُقْتَصِدٌ في الإخلاص، فبقي معه شيءٌ منه الزجر بعض الانزجار، أو مُقْتَصِدٌ في الإخلاص، فبقي معه شيءٌ منه ولم يبق على ما كان عليه مِن الإخلاص، بينما في الحالة الأولى لم يَذكر ولم يبق على ما كان عليه مِن الإخلاص، بينما في الحالة الأولى لم يَذكر ولم يبق على ما كان عليه مِن الإخلاص، بينما في الحالة الأولى لم يَذكر

<sup>(</sup>١) ينظر: الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٥: ٩٦.

<sup>(</sup>٢) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٣٦٣: ٣٦٣.

مع ركوب البحر مُعايَنة مِثل ذلك الأمر، فذكر إشراكهم حيث لم يبق عنده أثر"(١).

ومن الأوقات التي ذُكِرت في القرآن الكريم أنّ الكافرين يُبادِرون حينها إلى دعاء رب العالمين: ما يكون منهم حال مباغتتهم بعذاب دنيوي وإصابتهم بمصيبة نازلة؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلُ أَرَءَيْتَكُمُ إِنْ أَتَنكُمُ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَنكُمُ السّاعَةُ أَغَيْر اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُدْ صَدِقِينَ ﴿ بُلُ إِيّاهُ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَنكُمُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ اللّه عَلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ اللّه عَلَيْهِ اللّه عَلَيْهِ أَن يُخاطب أولئك المشركين ويسألهم قائلا: ﴿ اللّه عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَذَابُ اللّهِ ﴾ أي: إن جاءكم أَرَءَيْتَكُمُ ﴾، أي: أخبروني، ﴿ إِنْ أَتَنكُمُ عَذَابُ اللّهِ ﴾ أي: إن جاءكم أيها القوم عذاب الله، كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلكوا بأنواع العذاب الذي أخذهم بغتة، "وإضافة العذاب إلى اسم الجلالة لتهويله، لصدوره مِن أقدر القادرين، والمراد عذابٌ يحصل في الدنيا يضَرَّعُونَ إلى الله لرفعه عنهم "(٢)، ﴿ أَوْ أَتَنكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ التي تنشرون فيها من قبوركم، وتبعثون لموقف القيامة، ﴿ أَغَيْر اللّه عَيْره مَن آلمَتكم من البلاء، أو إلى غيره من آلمتكم من البلاء، أو إلى غيره من آلمتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من طليم البلاء؛ ﴿ إِن كُنتُمُ صَدِويَينَ ﴾ تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء؛ ﴿ إِن كُنتُمُ صَدِويَنَ ﴾ تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء؛ ﴿ إِن كُنتُمُ صَدُويَنَ ﴾

<sup>(</sup>١) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٥: ١٣٢، بتصرف.

<sup>(</sup>٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٧: ٢٢٤.

أي: إن كنتم مُحِقِين في دعواكم وزعمكم أنّ آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر (١)، فلا شك أهم حال نزول العذاب بهم إنما يلجؤون إلى الله وحده دون سواه، وينسون ما سواه مما كانوا يدعونه من معبوداتهم قبل ذلك، فلا يتذكرونهم حال وقوع الشدة، بل يُعِرضون عن دعائهم، ويتوجّهون إلى الله وحده ضارعين بالدعاء، ولذا قال سبحانه في الآية التالية: ﴿ بَلِ إِيّاهُ تَدّعُونَ فَيَكُشِفُ مَا تَدّعُونَ إِلَيهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا يَشْرِكُونَ (١) ﴾ [الانعام: ١٤]، فهم يرجعون إلى الله وقت حصول البلاء، ويخلصون له الدعاء، فإذا شاء كشف عنهم البأساء، ورفع عنهم الضراء، وإن شاء أهلكهم غير ظالمٍ لهم؛ لأنهم غير صادقين في توبتهم الضراء، وإن شاء أهلكهم غير ظالمٍ لهم؛ لأنهم غير صادقين في توبتهم تلك، وإنما يعودون للإشراك بمجّرد رفع العذاب عنهم ونجاتهم من الشدة التي وقعت بهم، كما أخبر الله عنهم في مواضع أخرى من كتابه الكريم (٢).

وفي هذا السؤال للمشركين وبيان حالهم عند نزول الضرِّ بمم محاجّة لهم ودعوة لهم إلى التفكر فيما هم عليه من الضلال كي يعودوا إلى رشدهم وتوحيد ربّهم، فكأنه تعالى يقول لعبدة الأوثان: إذا كنتم

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۱: ٣٥٣، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٣: ٢٠٢٠، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٢٩٠٠.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الشنقيطي، "أضواء البيان"، ١: ٤٧٨.

ترجعون عند نزول الشدائد إلى الله تعالى لا إلى الأصنام وما تعبدون من دونه، فلِمَ تبقون على عبادة تلك الأوثان التي لا تملك لكم ضراً ولا نفعاً على الحقيقة، ولا تكشف عنكم العذاب حال حصوله؟(١).

ولا يقع عذابٌ بالكافرين إلا بعد أن تُقام عليهم الحجّة، وتبلغهم رسالات الله تعالى على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَقّى نَبْعَث رَسُولًا ﴿ الله السلام؛ كما قال الله تعالى أنه لو أهلك الكافرين بعذاب من قبل أن يقيم عليهم الحجّة ويرسل إليهم الرسل للجَوُّوا إلى دعاء الله تعالى وسؤاله أن يرسل إليهم رسولا يبلغهم مراد الله منهم؛ كما قال وَيَكُلّ: ﴿ وَلَوْ أَنّا اَهْلَكُنّهُم بِعَذَابِ رسولا يبلغهم مراد الله منهم؛ كما قال وَيَكُلّ: ﴿ وَلَوْ أَنّا اَهْلَكُنّهُم بِعَذَابِ مِن قَبْلِ أَن فَيْلًا وَلَا أَوْلَا أَرْسَلْت إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَبَيْع عَلَيْكِ مِن قَبْلِ أَن نَيْلُه عليهم، ومن قبل أن نبعث نَيْلًا وَفَيْلُ مَن قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لكان لهم أن يقولوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك: يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك وغيك من قبل أن يصيبنا الذل والهوان والخزي والفضيحة بتعذيبك إيّانا، وقيل: الخزي في حَشْرِهِمْ مَعَ والهوان والخزي والفضيحة بتعذيبك إيّانا، وقيل: الخزي في حَشْرِهِمْ مَعَ والهوان والخزي والفضيحة بتعذيبك إيّانا، وقيل: الخزي في حَشْرِهِمْ مَعَ والهوان والخزي والفضيحة بتعذيبك إيّانا، وقيل: الخزي في حَشْرِهِمْ مَعَ والهوان والخزي والفضيحة بتعذيبك إيّانا، وقيل: الخزي في حَشْرِهِمْ مَعَ والمُوان والخزي والفضيحة المعذيب إلينا المناء والمؤون و

<sup>(</sup>۱) ينظر: الرازي، "تفسير الرازي"، ۱۲: ۵۳۳، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٦: ٤٢٣، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٣: ١٣٢.

(۱) وقيل في معني قولهم: ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَذِلَ وَغَنْرَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤]، أي: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَ بالقتل والسبي في الدنيا، وَغَنْرى بدخول النار يوم القيامة (٢). وقال سبحانه: ﴿ وَلُولًا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُ بِما قَدَّمَتُ اللّهِيمِ مُ فَيقُولُواْ رَبَّنَا لُولًا أَرْسَلْتَ إِلَيْتَنَا رَسُولًا فَنَتَبِع عَاينَنِكَ وَنَكُونَ وَلَا اللّهِ تقدير، ومعناها: لولا أَن يقولوا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين، لا عاجلهم العذاب في الدنيا، ولأصابتهم مُّصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم، فلولا قولُم هذا عندَ إصابة عقوبة جناياتهم التي قدَّمُوها ما أرسلناك؛ لكن لَمَّا كان قولُهم ذلك محقَّقاً لا محيدَ عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم ودفعا لحجتهم (٢). وإنما كان السبب في قولهم هذا هو نزول العقاب، لا

(۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۸: ۲۰۷، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۷: ۲۲۲، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۳: ۳۲۳، والبغوي، "معالم التنزيل"، ۳: ۲۸۲، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۲: ۱۱، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ۱۱: ۲۲٤، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ۲۱: ۳٤۷.

<sup>(</sup>۲) ينظر: البيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ٤٤، والألوسي، روح المعاني، ٨: ٥٩٣، والألوسي، روح المعاني، ٨: ٥٩٣، والقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٧: ١٧١.

<sup>(</sup>٣) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ١٩: ٥٨٧، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ٢: ١١، ٥ والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٨: ٥٠٤٣، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ٤٤٤، وابو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٧: ١٧، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٦١٧،

دعاءُ الكافرين ربَّ العالمين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. عبدالله بن عيدان الزهراني

التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم، وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواً لَعَامُ اللهُ عُلْمَا أَبُواْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨](١).

ومن العجيب أن يكون المشركون في الجاهلية يجأرون إلى الله تعالى بالدعاء إذا مسهم الضر، بينما لا نجد هذا من مشركي زماننا الذين طغت عليهم المادية المعاصرة، وانطمست لديهم الفطرة التي تجعل الإنسان يتوجّه إلى خالقه بالدعاء في وقت الضرّاء خاصة، وقد تأوّه العلماء لهذه المعضلة، وبيّنوا مدى انحطاط مشركي الأزمنة المتأخرة في سفول الشرك بالله جل وعلا، فهذا الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يقول في كتابه (القواعد الأربع)-: "القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شِركاً مِن الأولين؛ لأنّ الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلِكِ دَعُوا اللّه مُعْلِيضِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَمَّنُهُمْ إِلَى تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلُكِ دَعُواْ اللّه مُعْلِيضِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَمَّنُهُمْ إِلَى الْبَرِيزِ إِذَا هُمْ يُثُمِرُونَ نَ اللّه العنكبوت: ١٥] "(٢).

ويقول الألوسي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُو فِي اللهُ وَاللهِ عَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُو فِي اللهُ اللهِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيجٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا اللهِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيجٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا

<sup>(</sup>١) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٣: ١٩.٤.

<sup>(</sup>٢) ينظر: أبن عبدالوهاب، محمد بن عبدالوهاب. "القواعد الأربع"، (وهو مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول). تحقيق: عبدالعزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره. (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، غير محدد لسنة الطبع)، ١: ٢٠٢.

جَاءَتُهَا رِيحُ عَاصِفُ وَجَاءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنَهُمْ أُحِيطً بِهِمْ دَعُواْ ٱللَّهَ عُلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَيِنَ آَبَعَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَ مِنَ ٱلشَّكِرِينَ وَعَوْا ٱللَّهَ عُلِصِينَ لَا يدعون غيره على أنّ المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال، وأنت خبير بأنّ الناس اليوم إذا اعتراهم أمرٌ خطيرٌ، وخطبٌ جسيمٌ، في بَرِّ أو بحرٍ، دعوا مَن لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع...، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمّة، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأُمّة، ولا ترى فيهم أحداً يحُصُّ مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال، فبالله تعالى عليك قل لي أيُّ الفريقين مِن هذه الحيثية أهدى سبيلا وأي الداعيين أقوم قيلا؟، وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ربح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وحُرِقت منفينة الشريعة، واتُخِذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة!"(١).

وعند تفسير ذاتِ الآية يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وفي هذه الآية وأمثالها بيانٌ صريحٌ لكون المشركين كانوا لا يدعون في أوقات الشدائد وَتَقَطُّعِ الأسباب بهم إلا الله رَبَّهم، ولكن مَن لا يُحْصَى عَددُهم مِن مُسْلِمِي هذا الزّمان بِزَعْمِهِم لا يدْعُون عند أشدِّ الضِّيق إلا معبوديهم من الميِّتين!،...وقد سَمِعْتُ مِن كثيرٍ مِن الناس...حِكايةً

<sup>(</sup>١) الألوسي، "روح المعاني"، ٦: ٩٣.

يتناقلونها...، ومُلخّصها أنّ جماعةً ركبوا البحر فهاج بهم حتى أشرفوا على الغرق، فصاروا يستغيثون مُعْتَقَدِيهِم، فبعضهم يقول: يا (فلان...)، وبعضهم يصيح يا (فلان...)، وآخر يهْتِفُ: يا (فلان)...إلخ، وكان فيهم رجلٌ موحِدٌ ضاق بهم ذرعاً فقال: يَارَبِّ أَغْرِقٌ أَغْرِقٌ، ما بقى أَحَدٌ يعرفُك!"(١).

ولا يشك عاقل أنّه وإن ادّعى أولئك الإسلام فإنهم بعيدون عن توحيد رب العالمين وإخلاص العمل والدعاء له في كل حين. نسأل الله العافية، وأن يهدي مَن ضلّ عن سبيله.

## المطلب الثالث: دعاء الكافرين في مواجهة الأنبياء

من الأحوال الدنيوية التي ذُكِر في القرآن الكريم أنّ الكافرين يدعون ربّهم حين حصولها ما يكون عند مواجهتهم لأنبيائهم واستهزائهم بهم، فدعاء كفار البشر في مثل هذه الأحوال فيه تعجيزٌ لأنبيائهم، ومبالغة في تكذيبهم؛ وذلك إنما هو من طغيانهم ومكابرتهم.

ومن تلك المواضع التي ذكر الله تعالى في كتابه أنّ الكافرين دعوا رجّم في مواجهة نبيّهم قولُ الله تعالى عن الكافرين الذين كذّبوا نبيّنا محمداً على: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَكَمَآءِ أَوِ ٱثْتِنَا بِعَذَابٍ ٱلِيمِ (٣٠٠) ﴾ [الأنفال:

<sup>(</sup>١) رضا، "تفسير المنار"، ١١: ٢٧٧.

٣٦]. وهذا مِن عتوِّ الكافرين الذين كذّبوا بنبوّة رسول الله محمد على وجما جاء به، فإنهم حين يسمعون القرآن يُتلى يزعمون أنه كلام بشر، بل ويجزمون بذلك داعين الله بقولهم: ﴿ اللّهُ مَ إِن كَانَ هَنذَا هُو اللّهَ وَالْحَقَ مِنْ عِندِكَ فَأُمْطِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِن السّكَمَاءِ أَوِ انْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، والمعنى أنّ القرآن إن كان حقّاً مُنزلاً مِن عندك فأمطر علينا الحجارة عقوبةً على إنكارنا، أو ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ سِواه، والمرادُ منه التهكُمُ، وإظهارُ اليقينِ والجزم التامّ على أنه ليس كذلك"(١).

ودعاء الكافرين الوارد في هذه الآية جاء ذكره بعد أن عرض الله تعالى حالا من أحوالهم حيث إنهم رموا النبيّ بالكذب على الله، والهموه أنّ ما جاءهم به ليس إلّا من أساطير الأولين، أخذها من علماء أهل الكتاب، وأنهم لو شاؤوا أن يجيئوا بمثل ما جاءهم به لفعلوا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنَتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآهُ لَمَا فَي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنَتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَمَا فَي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنَتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآهُ لَعَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَالِينَ الله أَن الله أَن يقفوا عند هذا الحد من التكذيب والعناد، بل زادوا فيه، فدعوا الله أن يقفوا عند هذا الحد من السماء أو يأتيهم بعذاب أليم، وكان الأولى لهم والأجدر بهم أن يسألوا الله الهداية للحق، بدل أن يستفتحوا بالعذاب، ولكنه الجهل وعمى البصائر والضلال.

<sup>(</sup>١) أبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٤: ٤٧.

وهذا الدعاء وإن كان صدر من بعضهم (۱) إلا أنّ القرآن قد نسبه إلى جميعهم، فكأنهم كلهم دعوا بذلك، والمشار إليه بهذا في قولهم: ﴿ إِن كَانَ هَذَا هُو ٱلْحَقَّ ﴾ هو القرآن وشرع محمد .

والذي حملهم على هذه المقالة استبعادهم أن يكرم الله عليهم محمدا هذه الكرامة، فقالوا هذه المقالة كما يقول الإنسان مستبعداً لحصول أمر: إن كان كذا وكذا ففعل الله بي وصنع، وقيل: إنّ هذه المقالة خرجت مخرج العناد مع علمهم بأنه حق<sup>(۲)</sup>، وأيّاً ما كان الباعث لهم على قولها فإنّ دعاءهم على أنفسهم يدلّ على ضعف عقولهم، وإمعانهم في الكفر والضلال، والسخرية بالنبي الكريم، الذي كان وجوده وإمعانهم مانعاً من نزول العذاب بهم، وعدم إجابتهم لما استعجلوه من العقوبة؛ حيث قال الله عَلَيْ: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ عَلَيْ: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ الله

ومن دعاء الكافرين الله تعالى في مواجهة أنبيائهم ما ذكر الله عنهم بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِل لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ (١١) ﴾ [ص: ١٦]. أي: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا

<sup>(</sup>۱) أكثر المفسرين على أنها نزلت في النضر بن الحارث، ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۳: ۵۰۵، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۹۱، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۲: ۲:۱۱، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ۲: ۵۲۰.

<sup>(</sup>٢) ينظر: ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٥٢٠.

كتبنا قبل يوم القيامة، والقطّ في كلام العرب: "القسط من الشيء؛ لأنه قطعة منه، من قطه إذا قطعه. ويقال لصحيفة الجائزة: قط؛ لأنها قطعة من القرطاس"(۱)، فهؤلاء القوم سألوا ربحم تعجيل أنصبتهم من الخير أو الشر في الدنيا قبل يوم القيامة استهزاء بوعيد الله، وإنكاراً للبعث والجزاء، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه محمد في: ﴿ أَصَبِرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص: ١٧]، فكان معلوما بذلك أنّ دعاءهم ذلك ما دعوا به ربحم إلا على وجه الاستهزاء منهم برسوله في ولو لم يكن كذلك لما أمر النبي بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم (١)، "وذلك لأنّ القوم كانوا في نهاية الإنكار للقول بالحشر والنشر، فكانوا يستدلّون بفساد القول بالحشر والنشر، على فساد نبةته "(١).

(١) الزمخشري، "الكشاف"، ٤: ٧٧.

<sup>(</sup>۲) الطبري، "جامع البيان"، ۲۱: ۱٦٥، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ٣: ١٦١، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ١٠: ٢١١٢، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ٢٨٤، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٥: البحر الحيط"، ٩: ١٤٥، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٧: ٧٥، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٢: ٢٢٥.

<sup>(</sup>٣) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٦: ٣٧٣.

ومن دعاء الكافرين الله تعالى في مواجهة أنبيائهم واستعجالهم العذاب -أيضاً ما جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآبِلُا بِعَذَابِ وَاقِعِ العذاب ﴿ المعارج: ١]، أي: دعا داع، واستعجل وقوع العذاب بالكافرين، مع أنه سيقع بمم هذا العذاب؛ كما قال تعالى: ﴿ بِعَذَابِ وَاقِع ﴾، فبين الله أنه سيقع على الكافرين لا محالة، سواء في الدنيا أو في الآخرة، وسواء طُلِب أم لم يُطلب، ولا يستطيعون دفعه ورده حين وقوعه، لا هُمْ ولا غيرهم؛ كما قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿ لِلكَفِرِينَ وَقُوعه، لا هُمْ ولا غيرهم؛ كما قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿ لِلكَفِرِينَ لِيسَلَهُ, دَافِعُ ﴿ لَا لَهُ المعارج: ٢] (١).

ولم تذكر الآية الكريمة اسم هذا السائل، بل جاءت به منكرا هكذا: (سائِلٌ)؛ لأنه لا يعدو أن يكون واحداً من أولئك الكافرين السفهاء (٢)، فأخفى تعيينه تحقيراً لشأنه.

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٢٣: ٥٩، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٦: ٤٤، وابن عطية، السمعاني"، ٦: ٤٤، والزمخشري، "الكشاف"، ٤: ٢٠٨، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٣٦٤، والرازي، "تفسير الرازي"، ٣٠: ٢٣٧، والبيضاوي، "أنوار القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٨: ٢٧٨، والبيضاوي، "أنوار التنزيل" ٥: ٤٤، والكلبي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ٢: ٤٠٩، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٢٢٠، والشوكاني، "فتح القدير"، ٥: ٣٤٤، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٨٥٥.

<sup>(</sup>۲) ينظر: الخطيب، عبد الكريم بن يونس. "التفسير القرآني للقرآن". (ط۱، القاهرة: دار الفكر العربي، غير محدد لسنة الطبع)، ١١٥٦: ١٠٥٠.

وسؤال الكافرين هذا سؤال تعجيزٍ للنبي الله ودعاؤهم بتعجيل العذاب إمعانٌ في استبعاده، ومبالغةٌ في إنكاره، وقد كان كُفّار يستهزئون فيسألون النبي الله: متى هذا العذاب الذي تتوعدنا به، ويسألونه تعجيله، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا ٱلْوَعَدُ إِن كُنتُمُ صَدِقِينَ ويسألونه تعجيله، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا ٱلْوَعَدُ إِن كُنتُمُ صَدِقِينَ ويسألونه تعجيله، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَدَابِ ﴾ [الحج: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَدَابِ ﴾ [الحج: ٧٤] (١).

ومن أدعية الكافرين ربّ العالمين استهزاءً بأنبيائهم وتعجيزاً لهم ما ذُكِر في قوله تعالى عن قوم سبأ: ﴿ فَقَالُواْ رَبّنا بَعِد بَيْنَ أَسْفَارِنا وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلَنَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّفَنَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَينتِ وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلَنَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّفَنَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاينتِ لِلله وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ مَ فَجَعَلَنَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّفَنَهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاينتِ الله لَكُورِ فَلَى إَسباد اله الله ودعاؤهم هذا جاء بعد أَنْ مَن الله عليهم بما مَن، مِن سعة الأرزاق، وطيب البلد، ورغد العيش، والأمن عليهم مِن الخوف، واقتراب المدن، وتيسير الأسفار، ولكنهم لم يشكروا تلك مِن الخوف، واقتراب المدن، وتيسير الأسفار، ولكنهم لم يشكروا تلك النعم، "فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملّوها، حتى المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملّوها، حتى المنعم، وقالوا: ﴿ رَبّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾!.

<sup>(</sup>١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٩: ١٥٣.

<sup>(</sup>٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٦٧٧.

قال ابن عاشور —عند تفسير هذه الآية—: "والأظهر عندي أن يكون هذا القول قالوه جواباً عن مواعظ أنبيائهم والصالحين منهم حين ينهونهم عن الشرك، فهم يعظونهم بأنّ الله أنعم عليهم بتلك الرفاهية وهم يجيبون بمذا القول إفحاماً لدعاة الخير منهم، على نحو قول كفار قريش: هِ اللّهُ مَّ إِن كَانَ هَنذَا هُوَ الْحَقّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السّمَاءِ أَوِ الْفَقْل: ٣٦] "(١).

فتواطأت مواقف الكفّار مِن أنبيائهم، وجعلوا مِن تكذيبهم لأنبيائهم يدعون الله استعجالاً بالعذاب، وذلك سخرية منهم واستهزاء بأولئك الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام.

ومِن دعاء الكافرين في مواجهة الأنبياء ما كان من إبليس رأس الكفر وداعيته الأول؛ حيث أخبر الله عنه في مواضع من القرآن أنه دعا ربّه في مواجهة آدم العَلَيْلُ، وذلك بعدما أمره الله بالسجود له فامتنع كِبْراً وكُفراً؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْهَلَيْكِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِلاَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلّاَ لَهَا الله يَعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْهَلَيْكِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِلاَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلّا لَهَا إِلَيْسَ أَبِي وَٱسْتَكْبَر وَكَانَ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ اللهِ الله البقرة: ٣٤].

ودعاؤه الذي كان مراده به مواجهة آدم التَّلَيْلُ وذريّته وإغواءهم ذُكِر في مثل قول الله تعالى -مُخبِراً عن إبليس-: ﴿ قَالَ أَنظِرُفِ إِلَى يَوْمِ لَبُعْثُونَ الله الله تعالى الله عنه الطبري: "وهذه أيضًا جَهْلة أخرى من جَهَلاته الخبيثة، سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق

<sup>(</sup>١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ١٧٦.

الله إليه، وذلك أنه سأل النَّظِرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق، ولو أعطى ما سأل من النَّظِرة، كان قد أعطى الخلودَ وبقاءً لا فناء معه، وذلك أنه لا موت بعد البعث، فقال جل ثناؤه له: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظرِينَ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ اللَّهِ ﴾ [الحجر: ٣٧ -٣٨]، وذلك إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء، لأنه لا شيء يبقى فلا يفني، غير ربِّنا الحيّ الذي لا يموت...، فإن قال قائل: فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يبعثون: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلمُنظرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥]، في هذا الموضع، فقد أجابه إلى ما سأل؟، قيل له: ليس الأمر كذلك، وإنما كان مجيبًا له إلى ما سأل لو كان قال له: إنك من المنظرين إلى الوقت الذي سألت، أو: إلى يوم البعث، أو: إلى يوم يبعثون، أو ما أشبه ذلك، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرة، وأما قوله: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلمُنظرِينَ ﴾، فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التي قد بيَّن فيها مدة إنظاره إياه إليها، وذلك قوله: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنَظَرِينَ اللَّهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ "(١)، وقد قيل في معنى الوقت المعلوم: هو النفخة الأولى في الصور التي يُصعق لها من في السماوات ومن في الأرض من المخلوقين، وقيل: بل أحاله على وقت معلوم عنده

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۲: ٣٣٠، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ۷: ۲۳، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ۳: ۷، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٥: ۱۹، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ۳: ۲۱۷، والشوكاني، "فتح القدير"، ۲: ۲۱۹، والألوسي، "روح المعاني"، ٤: ٣٣١، والشنقيطي، "أضواء البيان"، ٢: ١١.

عَلَىٰ يريد به يوم موت إبليس وحضور أجله دون أن يعيَّن له ذلك، وإنما تركه في عماء الجهل به ليغمه ذلك ما عاش.

وذهب ابن عاشور إلى أنّ دعوة إبليس تلك لم تستجب، فقال: "وقد أفاد التأكيد بإنَّ والإخبار بصيغة ﴿ مِنَ ٱلْمُنظرِينَ ﴾ أنَّ إنظاره أمِّرٌ قِد قضاه الله وقدَّره مِن قَبْل سؤاله، أي: تَحقق كُونُكُ من الفريق الذين أُنْظِروا إلى يوم البعث، أي أنّ الله خلق خلقاً وقدّر بقاءهم إلى يوم البعث، فكَشف لإبليس أنه بَعضٌ مِن جُملة الْمُنظرين مِن قبل حدوث المعصية منه، وإنّ الله ليس بمغيّر ما قدّره له، فجواب الله تعالى لإبليس إِخبارٌ عن أمر تحقّق، وليس إجابةً لِطِلْبَةِ إبليس، لأنه أهون على الله مِن أن يجيب له طلباً، وهذه هي النكتة في العدول عن أن يكون الجواب: أنظَرْتُك أو أَجَبْتُ لك، مما يدل على تَكْرِمَةٍ باستجابة طلبه، ولكنه أعلمه أنّ ما سأله أمرٌ حاصِل، فسؤاله تحصيلُ حاصل "(١).

وعلى كل حال، فإن كان الله تعالى قد أجاب دعاء إبليس ذلك أو لم يُجبه، فإنّ في إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم لله تعالى ابتلاءً للعباد، وفي مخالفتهم لإبليس أعظم الثواب، وحُكْمُه حُكْمُ ما حَلَق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركّب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (٢).

<sup>(</sup>۱) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٨: ٥٥. (٢) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٩١، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٣٩٣، والشوكاني، "فتح القدير"، ٢: ٢١٩، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٢٨٤.

#### المطلب الرابع: دعاء الكافرين على أنفسهم.

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۷: ۳۹۳، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۳۰۳، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٦: ۲۰ ۲۰۳، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٣: ۲۲۲، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٣: ۲۲۳، والزخشري، "الكشاف"، ٢: ۲۰۱، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٣: ٤٤، والرازي، "تفسير الرازي"، ٢٠: ٢٠، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ۶۹، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ١٠ ١٩، والألوسي، "روح المعاني"، ٨: ۲۳.

والمراد بالإنسان في مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَانُ بِاللَّمْ وَهُو يَالُثُمْ اللَّهِ وَهُو اللَّهِ اللَّهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا الله ﴾ [مريم: ٦٦ - أولا يذّب الإنسان على الكافر ورد في عدة مواضع من القرآن، فيدعو الكافر بالعذاب استهزاء ويستعجل به، كما يدعو بطلب الفرج إذا مسته الشدّة (١).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ۲: ۲۰۱۱، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، 10 الله الكافر على كل حال، الله السياق هو الذي يحدد هل المراد به الإنسان الكافر، أم يشمل المسلم والكافر. قال الرازي: "اختلفوا في الإنسان في قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَ ٱلْإِنسَنَ الشَّرُ ﴾ [بونس: ۱۲]، فقال بعضهم: إنه الكافر، ومنهم من بالغ وقال: كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الإنسان، فالمراد هو الكافر، وهذا باطل؛ لأن قوله: ﴿ يَكَنَّهُ ٱلْإِنسَنُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَى رَبِّكَ كَدِّحًا فَمُلَقِيدِ ۚ فَأَمَّا مَنْ أُونِي كِنبَهُ, بِيَمِينِهِ قوله: ﴿ يَكَنَّهُ الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَى رَبِّكَ كَدِّحًا فَمُلَقِيدِ ۚ فَأَمَّا مَنْ أُونِي كِنبَهُ, بِيَمِينِهِ قوله: ﴿ مَلَ اللهِ مَن اللهُ والله عليه، وكذلك قوله: ﴿ مَن اللهِ مَن اللهِ اللهِ اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ والله محكمه أنه إذا حصل هناك معهود سابق وجب حمله أن نقول: اللفظ المفرد المحلّى بالألف واللام حكمه أنه إذا حصل هناك معهود سابق وجب حمله على الاستغراق صوناً له عن الإجمال والتعطيل. ولفظ الإنسان هاهنا لائق بالكافر؛ لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة". الرازي، "تفسير بالكافر؛ لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة". الرازي، "تفسير الرازي"، ١٢٠١؟ ٢٠٠.

ومِن أمثلة دعاء الكافرين على أنفسهم التي ذُكِرت في القرآن الكريم ما دعا به قوم سبأ حين سألوا الله أن يباعد بين أسفارهم بعد أن أنعم الله عليهم وجعل بينهم وبين قرى الشام قرى متصلة متقاربة، فلم يشكروا ربهم، بل سألوه أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض!، وقد أخبر الله عن دعائهم ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبّناً بَكِدً بَعْنَ أَسْفَارِنا وَظَلَمُواْ أَنفُسُهُمْ فَجَعَلْنهُمْ أَحَادِيثَ وَمُزَقَّنهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي بَعْنَ أَسْفَارِنا وَظَلَمُواْ أَنفُسُهُمْ فَجَعَلْنهُمْ أَحَادِيثَ وَمُزَقِّنهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي بَيْنَ أَسْفَارِنا وَظَلَمُواْ أَنفُسُهُمْ فَجَعَلْنهُمْ أَحَادِيثَ وَمُزَقِّنهُمْ كُلُّ مُمَزَقٍ وَالله وَلَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنا فَولَم، ﴿ رَبّنا بَعِنون به: فاجعل بيننا وبين الشام فلواتٍ ومفاوز، بين أَسْفَارِنا في الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على انّ لنزكب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على انّ القوم بطروا نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وسئموا مِن طيب العيش، وجهلوا بمقدار العافية، فطلبوا النصب والتعب كما طلب بنو إسرائيل وجهلوا بمقدار العافية، فطلبوا النصب والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى. قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿ وَظَلَمُواْ النصب العيش، البصل والثوم مكان المنّ والسلوى. قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿ وَظَلَمُواْ

<sup>(</sup>۱) وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام: {رَبَّنا} بالنصب على أنه نداء، وقرؤوا: {بَعِّدْ}، بكسر العين المشدّدة بلا ألف، مِنَ التَّبْعِيدِ، وَقَرَّا الباقون غير يعقوب: {رَبَّنا} كذلك على الدعاء، {باعِدْ} بالألف وكسر العين وسكون الدال، و(بَاعِدْ) و(بَعِدْ) واحدٌ في المعنى، فسألوا المباعدة بين أسفارهم. وقرأ يعقوب: {رَبُّنا} بالرفع، {بَاعَدَ} بفتح العين والدال على الخبر، على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم. ينظر: ابن زنجلة، "حجة القراءات": ٥٨٨، وابن الجزري، "تحبير التيسير في القراءات العشر": ٥١٦، والدمياطي، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر": ٥٤٩.

أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: بترك الشُّكْر وسؤال المشقة والكدح في المعيشة، إذ تمنوا طول الأسفار وبعد الديار، ولقد عجّل لهم ربهم الإجابة، وأعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة، حيث قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَهُمْ مَا رَغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة، حيث قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَهُمْ أَكُلُ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: أحاديث في الْقُرُون الَّتِي تَأْتِي، وفرقناهم وبددناهم كل مُفرَّق ومُبَدَّد (١).

ومما ذكر في القرآن الكريم أيضاً مِن دعاء الكافرين على أنفسهم ما تقدّم (٢) مِن أنّ بعض الكافرين دعوا على أنفسهم في مواجهة الرسل عناداً واستكباراً واستبعاداً للعذاب؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَنُ عَجُولًا اللهُ وَالإَسْنُ عَجُولًا اللهُ وَالإسراء: ١١]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنا الْحَقّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرَ عَلَيْنا حِجَارَةً مِّنَ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنا بِعَذَابٍ أَلِيمِ اللهِ [الأنفال: ٣٢].

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۰: ۳۸۹، والسمرقندي، "بحر العلوم"، "

" ۱۸۷، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۱۹: ۹۱۷، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ١٤: ۳۲۸، والزمخشري، "الكشاف"، ٣: ۷۷۰، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۰: ۲۰۲، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٤: ۲۰، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٦: ۹۰، والشوكاني، "فتح القدير"، ١٤: ۳۲۹، والألوسي، "روح المعاني"، ١١: ۳۰۶.

<sup>(</sup>٢) في المطلب السابق.

وقوله ﷺ ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿ ﴾ [ص: ١٦]، وغير ذلك من الآيات.

وقد حذّر النبي شم من سلوك سبيل الكافرين في الدعاء على النفس أو الولد أو المال، فقال شم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خَدَمِكُم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافِقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيلِ فيها عطاء فيستجيب لكم»(١).

وبيّن على سوء عاقبة الدعاء على النفس بتعجيل العذاب؛ فعن أنس على قال: "إنّ رسول الله على عاد رَجُلاً من المسلمين قد حَفَتَ (٢)، فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله على: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إيّاه؟»، قال: نعم، كنت أقول: اللهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجّله لي في الدنيا. فقال رسول الله على: «سبحان الله!، لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهمّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». قال: فدعا الله له فشفاه".

<sup>(</sup>٢) أي: ضغّف وذهبت قوته. ينظر: النووي، يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا:(٨٨/٢)، برقم(٢٦٨٨)، .

# المطلب الخامس: دعاء الكافرين إذا رأوا بعض العلامات الكبرى لقيام الساعة.

مِن دعاء الكافرين الذي ذُكِر في القرآن الكريم ما يكون مِن سؤالهم الله عَلَيْ كشف بعض ما يحصل لهم من العذاب قبل يوم القيامة، وهو قولهم: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَا ٱلْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿ آ ﴾ القيامة، وهو قولهم: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَا ٱلْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿ آ ﴾ [الدخان: ١٢]، وهذا العذاب الذي يسألون كشفه هو الدخان المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿ آ يَعْشَى النَّاسُ هَنذَا عَذَابُ أَلِيدُ ﴿ آ ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]، وهو آية من آيات الله، مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أبصار وأسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، وهذا على أحد القولين في تفسير الآية (١٠).

فيدعوا الكافرون الذين يرون ذلك الدخان ربَّم الله سائلين كشف الدخان عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك، فيكشف الله عنهم ذلك العذاب

<sup>(</sup>۱) القول الثاني في معنى الدخان المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاةُ لِدُمَانِ مُّبِينِ ﴾ [الدخان: ۱۰]، هو ما أصاب قريشاً من الجهد بدعاء النبي على عليهم، وما لقوه بسبب ذلك من قحطٍ وجوعٍ، فصاروا يرون بين السَّماء والأرض كالدُّخان. تنظر: المراجع في الحاشية التالية.

## مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

بعد ظهور تلك العلامة الدالة على قرب قيام الساعة، وبعد أن ادعى الكافرون الإيمان؛ ولكنهم يعودون إلى كفرهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَا كُوهُمُ الله عنهم كَاشِفُوا الله الله الله عنهم كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمُ عَآبِدُونَ ﴿ ﴿ الله الله عنه الله عنه قيام الساعة، كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرِي إِنّا مُنْقِمُونَ ﴿ أَنَا لَهُ مَعنى قوله سبحانه: ﴿ إِنّا مُنْقِمُونَ ﴿ أَنَا لَهُ الله عنى قوله سبحانه: ﴿ إِنّا مُؤخّرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد السابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه مِن الطغيان والضلال، ولا يلزم مِن الكشف عنهم أن يكون باشرهم؛ كقوله تعالى: ﴿ إِلّا قَوْمَ يُونُسُ لَمّاً ءَامَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْي فِي الْحَيَوٰوَ الدُّنيَا وَمُتَعَنَاهُمْ إِلَى حِينِ ﴿ الله عِينِ ﴿ الله عَلَى العذاب باشرهم واتصل وَمُتَعَنَاهُمْ إِلَى حِينِ ﴿ الله عَد انعقد سببه ووصوله إليهم " (٢) ولم يكن العذاب باشرهم واتصل هم، بل كان قد انعقد سببه ووصوله إليهم " (٢) .

(۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۲: ۱۱، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۳: ۲٦۸، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية، ۱۰: ۲۷۲٦، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٥: ۲۲۳، والزمخشري، "الكشاف"، ٤: ۲۷۲، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٥: ٩٦، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۷: ۲۰٦، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٩: ٣٩٩، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٧: ۲٤٧.

<sup>(</sup>٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٧: ٢٥٠.

وعلى كلِّ فقد نصّت الآيات المذكورة هنا من سورة الدخان على أنّ الدخان نوعٌ من العذاب الذي يصيب الكافرين وأهّم حال نزوله بمم يضرعون إلى الله بالدعاء.

وقد عدّ العلماء وقوع الدخان من العلامات الكبرى لقرب قيام الساعة، استدلالاً بهذه الآية، وبما جاء في بعض الأحاديث؛ كحديث حذيفة بن أسيد الغفاري على قال: كان النّبي في غُرْفَةٍ وَنحن أسفل منه، فاطّلع إلينا، فقال: ما تذّكُرون؟ " قلنا: الساعة، قال: «إنّ الساعة لا تكون حتى تكون عشرُ آياتٍ: حَسْفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب والدُّخان،...» الحديث أ، وغيره من الأحاديث.

#### المطلب السادس: دعاء الكافرين عند الموت.

إذا وقع الموت بالإنسان فقد أقبل على الآخرة وأدبر عن الدنيا، وقد تقرّر فيما سبق أنّ الكافرين يلجؤون إلى دعاء الله تعالى عند نزول الشدائد بمم، وأعظم شدّة تحصل للإنسان وأكبر مصيبة تحل به هي مصيبة الموت، فإذا عاين الكفار الموت وأيقنوا بمفارقة الحياة فزعوا إلى دعاء الله عَلَيْه، وسألوه أن يمهلهم، ويؤجِّل قبض أرواحهم، زاعمين أنهم سيتوبون ويعملون عملاً صالحاً ويُصلِحون ما أفسدوا إذا أعيدوا للدنيا

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة:(٢٢٢٦/٤)، برقم(٢٩٠١).

وأُجِّلت آجاهم ومُدّ في أعمارهم، وقد بيّن الله حاهم ذلك وسؤاهم إياه عند نزول الموت بمم بقوله سبحانه: ﴿ حَقَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (١١) ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، أي: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال: - لعظيم ما يعاين مما يَقْدم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة -: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَّكُتُ ﴾ المؤمنون: ١٠٠، أي: كي أعمل صالحاً فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرّطت فيه، فيقول الله له: ﴿ كُلَّا ﴾ أي: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك مِن إمكان رجوعه إلى الدنيا إذا حضره الموت، فلن يُرْجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ﴿ إِنَّهَا كُلِمَةٌ فَو قَآبِلُهَا ﴾ المؤمنون: ١٠٠، أي: هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ كلمة هو قائلها، أي: هذا المشرك يقولها، ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه؛ ولكن لا تنفعه ولا تجاب دعوته حينئذ، وهو أيضا غير صادق في ذلك، فإنه لو رُدّ لعاد لما نهى عنه، ﴿ وَمِن وَرَآبِهِم بَرْزَخُ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أي: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبَعَّثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، مِن قبورهم، وذلك يوم القيامة (١).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۹: ۲۹، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۹۰ والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۳: ۲۰۹، والزمخشري، "الكشاف"، ۳: ۲۰۳، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ۲: ۲۰۲، والرازي،

فذكر الله تعالى أنّ مِن مواضع دعاء الكافرين هو ما يكون من عند حصول الموت بهم من طلبهم الإمهال والرجوع إلى الدنيا؛ لكنه بين أنه لا يجيب دعاء أولئك الكافرين عند احتضارهم، بل ولا غيرهم؛ كما قال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِنمّا رَزَقَنْكُمُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِكَ كُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِكَ أَمُركُمُ الْمُوتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخْرَتَنِ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصّدَق وَأ كُن مِن الصّالِحِينَ اللهُ وَلَى يُؤخِر الله نَقسا إِذَا جَاءَ أَجَلُها ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١]، فقرر سبحانه في غير موضع مِن كتابه أنّ الأجل إذا جاء أحداً فإنه لا يؤخر، ولا تجاب له دعوة حينئذٍ؛ لأنّه تعالى أمهل عباده قبل ذلك، فمن بادر في حياته بالإيمان والعمل الصالح فاز، ومن فرّط حتى جاءه الموت فقد خسر، ولا ينفعه التمني حين حلول أجله، ولا دعاءه ربّه أن

<sup>&</sup>quot;تفسير الرازي"، ٢٣: ٢٩٢، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٢: ٩٤، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ٩٥، والكلبي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ٢: ٧٥، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٧: ٥٨٤، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٩٣، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٢: ٩٤، والشوكاني، "فتح القدير"، ٣: ٩٨، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ٥٥٥، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٨٠: ١٢٣.

### المبحث الثاني: دعاء الكافرين في الآخرة

وفيه مطلبان:

#### المطلب الأول: دعاء الكافرين عند قيام الساعة

ذكر الله على خلك اليوم العظيم، ومن تلك الأحوال أنّ الكافرين أحوال الكافرين في ذلك اليوم العظيم، ومن تلك الأحوال أنّ الكافرين يُحشرون إلى جهنم عُمياً؛ كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَمَن يُضَيلً فَلَن يُحشرون إلى جهنم عُمياً؛ كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَمَن يُخيلِلُ فَلَن يَجَدُ لَمُمْ أَوْلِياء مِن دُونِهِ وَفَحَسُرُهُم يَوْمَ الْقِينَمة عَلَى وُجُوهِهم عُمياً وَبُكما وَصُما الله وَ الإسراء: ٩٧]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَة ضَنكا وَخَشُرُهُ وَوَله: ﴿ وَمَنْ أَعْمَى الله فَي الله وقد الآية وأمثالها أنه يبعث اختلف في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية وأمثالها أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقيل: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر، وقيل: يحشر أعمى البصر، ورجّح الطبري أن المقصود عمى البصر، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر البصيرة والبصر معا؛ فقال: "والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر حل ثناؤه، فعم ولم يخصِّص "(١)، فيسأل الواحد من أولئك الكافرين عندئذٍ ربّه لم حشره أعمى مع أنه كان في الدنيا مبصرا، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمُ عندئذٍ ربّه لم حشره أعمى مع أنه كان في الدنيا مبصرا، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ عندئذٍ ربّه لم حشره أعمى مع أنه كان في الدنيا مبصرا، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ عندئذٍ ربّه لم حشره أعمى مع أنه كان في الدنيا مبصرا، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ

<sup>(</sup>١) الطبري، "جامع البيان"، ١٨: ٣٩٥.

فسؤال الكافر ربّه يوم القيامة عن سبب حشره أعمى يحتمل والله أعلم - تَضَمُّنَ دعائه إيّاه رَفْعَ ذلك العمى؛ لأنّ مقصوده إذ ذاك هو أن يكون بصيرا كما كان في الدنيا بصيرا، لكن الله تعالى لا يجيبه لسؤاله ذلك، فلا يكون الكافر في القيامة بصيرا إلا وقت مشاهدته للعذاب وأهوال يوم القيامة، ووقت قراءته كتابه، فإنّ الله يزيل ذلك العمى عنه فيرى أهوال القيامة، ويشاهد مقعدَه من النار، ويكون ذلك

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۸: ٣٩٦، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ٢: ٢١٦، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٧: ٤٧١٤، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٣: ٣٦٨، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ٦٨، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٣٢٤.

# مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

له عذاباً فوق العذاب، وكذا البَكم والصمَمُ يزيلهما الله تعالى عن الكافرين في بعض أجزاء ذلك اليوم فيتكلمون ويسمعون، كما قال تعالى: ﴿ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواً أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿ أَسِّمْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ ﴾ [مريم: ٣٨] (١).

ومِن دعاء الكافرين يوم القيامة: ما يكون حين يعاينون أهوال ذلك اليوم، ويتيقّنون وقوع العذاب بهم، حيث يلجؤون إلى دعاء الله تعالى، فيسألونه التأخير والإمهال، ويطلبون الرجوع إلى الدنيا ولو فترة يسيرة ليعبدوا الله كما أمرهم، ويجيبوا دعوته، ويتبعوا رسله، ولكن هيهات أن تجاب دعوهم حينئذ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنّاسَ يَوْمَ يَأْنِهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلّذِينَ ظَلَمُواْ رَبّنا آخِرَنا إِلَى أَجَلِ فَرِيبٍ نُجِبُ دَعُوتَك وَنَتَجِع ٱلرُّسُلِّ أَولَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِن قَبْلُ مَا لَكُم مِن زَوالِ الله تعالى نبيه في هذه الآية وأمثالها أن يُخوف الكافرين بما يكون يَوْمَ القيامة من حلول العذاب بهم، وأنه لا ينفعهم دعاؤهم حينها أن يُرجعوا للدنيا، ولا يجيب الله دعاءهم حينهذ؛ فيقول تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنّاسَ يَوْمَ يَأْنِهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾، "وَالْمُفَسِّرُونَ

<sup>(</sup>۱) ينظر: أبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٦: ٤٨، والألوسي، "روح المعاني"، ٨: ٥٨٦.

مُجُمِعُونَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ يَوْمَ يَأْنِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ هُو يَوْمُ الْقِيَامَة"(١)، ﴿ فَيَقُولُ ٱلَذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يعني: كفروا بربهم فظلموا بذلك أنفسهم ﴿ رَبَّنَا آخِرَنَا آخِرَا آخِرَنَا آخِرَنَا آخِرَانَا آخِرَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَ آخِرَانَا آخَرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخَرَانَا آخِرَانَا آخِرَانَا آخَرَانَا آخَلَا آخَرَانَا آخَلَا آخَرَانَا آخَلَا آخَرَانَا آخَرَانَا آخَرَانَا آخَرَانَا آخَرَانَا آخَرَانَ

(۱) الرازي، "تفسير الرازي"، ۱۹:۱۹.

<sup>(</sup>۲) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۷: ۳۵، والسمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۷۵، والبيغوي، "معالم التنزيل"، ۳: ۵۵، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۳: ۱۲۳، والزمخشري، "الكشاف"، ۲: ۵۲۰)، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ۳: ۲۰۲، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ۳: ۲۰۲، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ۲۱، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٥: ۵، والألوسي، "روح المعاني"، ۷: ۱۳۳، والقاسمي، "محاسن التأويل"، ۳: ۳۲۱، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن: ۲۲۷، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ۳۲۱: ۲٤۷.

بالرسل يوم القيامة، فقد ضيعوا الفرصة التي أتيحت لهم في الدنيا، وفرّطوا في جنب الله، وعصوا رسله، فما جزاؤهم في الآخرة إلا النار، وبئس القرار.

ومن أدعية الكافرين أيضاً يوم القيامة أنهم يسألون الله تعالى أن يُرجعهم إلى الدنيا زاعمين أخّم تحقّق إيماهم في ذلك اليوم، وأنهم استفادوا حينها من أبصارهم وبصائرهم فرأوا بما ما لم يكونوا يرونه في الدنيا، واستفادوا من أسماعهم فسمعوا بها حينئذِ ما يوجب لهم اليقين بكلام رب العالمين، وأنهم سيعملون أعمالاً صالحةً إذا استجاب لهم وحقق مطلبهم وأرجعهم إلى الدنيا؛ ولكن ذلك الدعاء يوم القيامة لا يجاب لهم، وتلك الوعود منهم حينها لا تشفع لهم، وإيماهم المزعوم وقتها لا ينفعهم. وقد ذكر الله حالهم ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَيَّ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونِ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلُ صَلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ السَّا ﴾ [السجدة: ١٢]. فقوله عَجْكَ: ﴿ وَلَوْ تَرَيَّ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونِ نَاكِسُواْ رُءُوسِهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: وَلَو ترى -أيها النبي الكريم على، ويحتمل أن يكون الخطاب عاماً لكل أحد ممن يصح منه الرؤية - الْمُجْرمين وهم مُطاطِئوا رؤوسهم من فرط النَّدَم وَشَدَّة الوجل، والحياء من الله وعَجَلا، وفي الآية حذف، والمحذوف هو: أَنَّكَ لَو ترى الْمُجْرمين ناكسي رؤوسهم عِنْد رَبِهم لرأيت ما يُعْتَبر بِهِ. والمجرمون المقصودون هنا هم الكافرون بدليل توعُّدِ الله لهم بالنار،

وبدليل قولهم: ﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾، فكانوا في الدنيا غير موقنين. فالكافرون يدعون الله يوم القيامة قائلين: ﴿ رَبَّنَا آَبُصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ أي: أبصرنا صِدْق وعيدِك، وسَمِعنا مِنْك تَصْدِيق رسلك، وقيل: أَبْصَرْنَا معاصينا وسمعنا ما قيل منا، ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ أي: ردنا إلى الدنيا لنعمل صالحا. ﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: مصدقون بِالْبَعْثِ (١).

فيصرّح الكافرون يوم القيامة بالإيمان بالرسل، وألهم قد جاؤوا بالحق من عند ربّهم، ويسألون الشفاعة لينجوا من العذاب، ويطلبون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا، فيقولون: ﴿ قَدْ جَآءَتُ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَلَ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشَفَعُواْ لَنَا أَوَ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَا نَعْمَلُ ﴾ فَهَل لَنَا مِن شُفعاءَ فَيَشَفعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٣٥]؛ لكن ذلك الإيمان لا ينفعهم لأنه جاء في غير وقته، فقد كانوا مطالبين به في الدنيا فلم يحققوه، وتلك الدعوات لا تستجاب لهم يوم القيامة، لألهم أشركوا بالله في الدنيا وماتوا على ذلك،

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۰: ۱۷۲، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۹: ٥٧٥، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ٣٤٦، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٣: ٥٩، والزمخشري، "الكشاف"، ٣: ٥١٠ وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ٣٦١، والرازي، "تفسير الرازي"، ٥٠: ٤٤، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٤: ٥٩، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ٢٠٠، وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٨: ٤٣٥، والشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٢٩١، والألوسي، "روح المعاني"، ١١: ١٢٥.

# مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

فبيّن الله تعالى خسرانهم الواضح، وضياع أعمالهم المبنية على الافتراء على الله تعلى حيث قال: ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَفْسَهم يوم يَفْتَرُونَ إِن الأعراف: ٣٠]، فأوضح أهم خسروا أنفسهم يوم القيامة بسبب ما كان من كفرهم في الدنيا، وهذا أعظم أنواع الحسران، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُو المُنْسَرَانُ الْمُبِينُ ﴿ اللهِ إِللهِ مَا كَانُوا كما كانوا علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا، لكانوا كما كانوا فيها كفّاراً يُكذّبون آيات الله ويخالفون رسله، كما قال: ﴿ وَلَوْ تَرَى اللهِ بَلُ بَدَا فَعُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكُذِبُونَ إِن بَلُ بَدَا لَا لا اللهُ عَلَى اللهُ وَعَالَمُونَ مِن اللّهُ وَيُقَونُ مِن اللّهُ وَلَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكُذِبُونَ اللهِ اللهِ الانعام: ٢٠ - ٢٨] "(١).

ويحوِّف الله على الكافرين بحقيقة ما سيؤول إليه حالهم يوم القيامة من ذهّم لربهم، وسؤاله كشف أهوال ذلك اليوم عنهم بقوله: ﴿ قُلُ أَرَءَيْتَكُمُّ إِنَّ أَتَنكُمُ عَذَابُ اللّهِ أَوَ أَتَنكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمُ وصليقِينَ ﴿ ثَلْ اللّهِ اللّهُ تَدْعُونَ إِنَا اللّهُ عَذَابُ اللّهِ أَوَ أَتَنكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا صليقِينَ ﴿ ثَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكُشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ ﴿ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

<sup>(</sup>١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٦: ٣٦٢.

# المطلب الثاني: دعاء الكافرين في النار

من أدعية الكافرين لرب العالمين التي ذُكِرت في القرآن الكريم ما يكون يوم القيامة مِن دعائهم حال دخولهم النار، ومن ذلك: دعاؤهم على بعضهم البعض، فيدعوا الأثباع على مَن تسبب في إضلالهم وإغوائهم من دعاة الكفر وأئمته، ويسألون الله مضاعفة العذاب لأولئك الْمُضِلِّين، وقد أخبر الله عن دعائهم ذلك إياه يوم القيامة في قوله عَالَيْ: ﴿ قَالَ آدْخُلُواْ فِيَ أُمَدٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارُّ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْنَمًا حَتَّى إِذَا أَذَارَكُواْ فِيهَا جَبِيعًا قَالَتْ أُخْرَنهُمْ لِأُولَنهُمْ رَبَّنَا هَنَوُلآءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِّ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفُ وَلَكِن لَا نَعْلَمُونَ الله عَلَي عن خطابه الله عَلَي عن خطابه للكافرين يوم القيامة أنه يقول لهم حين يردون عليه: ﴿ آدَخُلُوا ﴾، أي: أيها المفترون على ربكم، المكذبون رسله، ﴿ فِي أُمُمِ ﴾ أي: في جماعات من الكافرين ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ ٱلْجِينَ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ﴾، أي: سبقتكم إلى دخول النار من الجن والإنس، "وقدّم ذكر الجن لأنهم أعرق في الكفر، وإبليس أصل الضلال والإغواء، وهذه الآية نص في أن كفرة الجن في النار"(١)، ﴿ كُلُّمَا دَخَلَتُ أُمَّةً لَّعَنَتُ أُخَنَّهَا ﴾، أي: كلما

<sup>(</sup>١) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٢: ٣٩٨.

دخلت أُمَّةٌ لعنت أُمَّةً أخرى من أهل مِلَّتِها ودينِها، فالمراد بأُحتها: المماثلة لها في الدِّين الذي أوجب لها الدخول في النار، ﴿ حَتَّمَ إِذَا أَذَارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾، أي: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً، يعني اجتمع في النار الأوَّلون من أهل الملل الكافرة والآخِرون منهم، ﴿ قَالَتَ أُخْرَنَهُمْ لِأُولَنَهُمْ رَبَّنَا هَنَوُلآءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِهِمْ عَذَابًاضِعْفَامِّنَ ٱلنَّارِّ ﴾، أي: قالت أُخرى أهل كلِّ مِلَّةٍ دخلت النار لأُولاها الذين كانوا قبلُهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزيَّنوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعفَ على عذابنا. وقد قيل: إِنَّ القادة يدْخلُونَ أُولاً، فهم المعنيون بقوله: ﴿ لِأُولَـٰهُمْ ﴾، ويليهم الأَتْباع في دخول النار، وهم مَن عني الله بقوله: ﴿ أُخُرِنَهُمْ لَهُ، تُم يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ ﴾، أي قال الله لهم: ﴿ لِكُلِّ ضِعْفُ ﴾، أي: لكلّ مِن الأخرى والأولى عذاب، وللأولى عذاب متضاعف زائد، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَكَّدُواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿ ﴿ إِلَّهُ إِلَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَالَ سَبَحَانُهُ في هذه الآية: ﴿ وَلَكِكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨]، أي: ولكنكم يا

معشر أهل النار لا تعلمون ما قدْرُ ما أعدّ الله لكلّ منكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعف منه الأمةُ الكافرةُ الأخرى لأختها الأولى (١).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۲: ۱۵، والسمرقندي، "بحر العلوم"،

۱: ۱۵، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٤: ٢٣٥٨، والسمعاني،
"تفسير السمعاني"، ۲: ۱۸۰، والزمخشري، "الكشاف"، ۲: ۱۰۳، وابن
عطية، "المحرر الوجيز"، ۲: ۳۹۸، والرازي، "تفسير الرازي"، ۱۱: ۲۳۸،
والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ۷: ۲۰۲، وأبو حيان، "البحر
المحيط"، ٥: ۶۹، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ۳: ۱۱۱، والشوكاني، "فتح القدير"، ۲: ۲۳۲، والألوسي، "روح المعاني"، ٤: والشوكاني، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ۲: ۱۲۰،

الكافرين على مَنْ أَضلّهم بقولهم: ﴿ رَبُّنا عَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعَنّا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، "معنى لطيف، وهو أنّ الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعو به، والعذاب كان حاصلاً لهم، واللعن كذلك، فطلبوا ما ليس بحاصل، وهو زيادة العذاب بقولهم: ﴿ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنَّهُمْ لَعَنّا كَبِيرًا ﴾ "(١).

وفي موضع آخر مِن القرآن الكريم يذكر الله تعالى دعاءً آخر يدعوا الكافرون به ربحم في النار ليُضاعف به العذاب لمن أضلهم، وهو ألهم يسألونه أن يريهم أولئك الْمُضِلِّين ليأخذوهم ويجعلوهم تحتهم في دركات النار، ليذوقوا أسوأ العذاب، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ النَّينَ كَفَرُواْ رَبَّنَا النَّذِينِ أَضَلَّانا مِنَ الْمِئِنِ وَالْإِنسِ نَجَعلُهُما تَحَت أَقَدامِنا لِيكُونا مِن اللَّسَفَلِينَ النَّارِ، فذكره بلفظ الماضي والمراد المستقبل، ﴿ رَبَّنَا آرِنَا الَّذِينِ كَفَرُواْ ﴾، أَضَلَّانا مِن البِّينِ وَالْإِنسِ فِي والمراد المستقبل، ﴿ رَبَّنَا آرِنَا اللَّذِينِ مَن أَضلهم على أَضَلَّانا مِن البِّينِ وَالْإِنسِ فِي فطلبوا من الله تعالى أن يريهم مَن أضلهم مِن فريق الجن والإنس مِن الشياطين الذين كانوا يحملونهم على من فريق الجن والإنس مِن الشياطين الذين كانوا يحملونهم على المعاصي، ويهوّنون لهم شأنها، ويزيّنون لهم الكفر، ومِن الكبراء الذين كانوا يريّنون لهم الكفر، ومِن الكبراء الذين

<sup>(</sup>١) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٥: ١٨٦.

القيامة مَن أضلهم في الدنيا بقولهم: ﴿ نَجْعَلْهُمَا تَعَتَ أَقَدَامِنَا لِيكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ أي: "نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا؛ لأنّ أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يربهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار "(۱)، وقالوا ذلك القول حقداً على أولئك المُضِلِّين وانتقاماً مِنْهُم لَمّا تسببوا في إغوائهم في الدنيا، فلم يستطيعوا التشفي منهم بأكثر مِن أنْ يسألوا مضاعفة العذاب عليهم في الدركات السفلي من النار (۲).

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢١: ٤٦٣.

<sup>(</sup>۲) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۲۱: ۲۲3، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۱۰: ۲۰۱۲، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۱۰: ۲۷: والرخشري، "الكشاف"، ٤: ۱۹۸، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۷: والرخشري، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ۱۰: ۳۰۷، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ۱۰: ۲۷، وابو حيان، "البحر المحيط"، ۱۹: ۳۰۲، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ۲: ۷۱، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ۱۲: ۲۲، والشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ۱۹۰، والألوسي، "روح المعاني"، ۱۲: ۳۲۲، والقاسمي، "محاسن التأويل"، ۱: ۳۳۲، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ۷٤۸، والخطيب، "التفسير القرآني للقرآن"، ۲۲:

فإذا رأى أولئك الكافرون في النار مَن أضلّهم في الدنيا أشاروا اليهم سائلين الله أن يزيدهم عذاباً، فينكر أولئك المعبودون ذلك، ويُكذّبون مَن عَبَدَهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشَرَكُوا وَيُكذّبون مَن عَبَدَهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشَركُوا مَن دُونِكُ شُركَآءَهُمْ قَالُوا رَبّنَا هَتَوُلاَءِ شُركَآوُنَا اللّذِينَ كُنّا نَدْعُوا مِن دُونِكُ فَالْقَوّا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنّكُمْ لَكَذِبُونَ ﴿ ﴿ اللّه اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى الله والسركاء والله عَلى والله عَلى الله والله عَلى الله وإلما قالوا ذلك لطلب مضاعفة عذابهم، والمعتهم في معصية الله تعالى، وإنما قالوا ذلك لطلب مضاعفة عذابهم، وأفاقَتُولُ ﴾ يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ﴿ وَأَنْ قُولُ ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَكَ لَكُ بُونَ ﴾ أيها المشركون، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا، وقد "حشر الله وَالله معهم أصنامهم وأوثانهم ما كيوبِخهم ويعذّهم ويعذّهم وأوثانهم ويعذّهم ويعذّهم ويعذّهم ويعذّهم ويعالى النار "(١).

<sup>(</sup>۱) القيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ٦: ٢: ٢٠ ٤، وينظر: الطبري، "جامع البيان"، ١٧: ٢٧٥، والسموقندي، "بحر العلوم"، ٢: ٢٥٥، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ٣: ١٩٤، والزمخشري، "الكشاف"، ٢: ٢٢٧، وابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٣: ١٤٤، والرازي، "تفسير الرازي"، ٢٠: ٢٥٦، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١: ٣١، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٣: ٢٣٧، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٤: ٥٩٣، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢: ٢٤٧.

(۱) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: محمد سيد كيلاني. (ط۳، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨١هـ): ٦٢٠.

<sup>(</sup>٢) ينظر: السمعاني، "تفسير السمعاني"، ٤: ١٥١، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٣: ١٥١، والزمخشري، "الكشاف"، ٣: ٤٢٦، وابن عطية، "المحرر

فالذين حَقَّ عليهم القول لجؤوا "إلى الاعتراف بأهم أضلُوا الضالِين وأَغْوَوْهُم،...وحَمَلَهم على ذلك ما يشاهدون مِن فظاعة عذاب كل مَن ادّعى المشركون له الإلهية باطلاً لَمَّا سمعوا قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمُ وَمَا تَعَ بُدُون مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّم ﴾ [الأنبياء: ﴿ إِنَّكُمُ وَمَا تَعَ بُدُون مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّم ﴾ [الأنبياء: ٩٨]...، وظنوا أنّ ذلك الاعتراف يخفف عنهم من العذاب بقرينة قولهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ((۱)). ومع اعتراف أولئك المُضِلِّين في النار بإغواء الكافرين في الدنيا، إلا ألهم نَفُوا أن يكون أحدٌ قد عبدهم وتبرؤوا مِن ذلك، وهذا كذب منهم، "والمقصود: ألهم يتبرؤون مِن أن يكونوا هم المزعوم ألهم شركاء وإنما قصارى أمرهم ألهم مُضِلُون ((۱)).

ومن دعاء الكافرين ربّهم إذا استقرّوا في النار سؤالهُم إيّاه أن يخرجهم منها؛ كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ قَالُواْ رَبّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقُوتُنَا وَكُنّا فَوْمًا ضَالِينَ لَا الله عنهم بقوله: ﴿ قَالُواْ رَبّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقُورُكَ الله وَكُنّا فَوْمًا ضَالِينَ اللهُورِكِ الله وَلَيْ الله وَمُنونَ: ﴿ رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقُوتُنَا ﴾ والمؤمنون: ١٠٦ - ١٠٧]، فينادي الكفار ربّهم قائلين: ﴿ رَبّنا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقُوتُنَا ﴾ أي: التي كتبت علينا، والتي قدرت علينا في اللوح

الوجيز"، ٤: ٢٩٤، والرازي، "تفسير الرازي"، ٢٥: ٩، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٣١: ٣٠٣، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ١٨٢، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٢: ٢٥٠.

<sup>(</sup>١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠: ١٥٧، بتصرف.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق، ٢٠: ١٥٩.

المحفوظ، و ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا صَالِينَ ﴾ أي: عن الهدى، ﴿ رَبُّنَّا المُخْوِجُنَا مِنْهَا ﴾ أي: عن الهدى، ﴿ رَبُّنَّا المُخْرِجُنَا مِنْهَا ﴾ أي: من النار، وأرجعنا إلى الدنيا، ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ أي: إلى الكفر والتكذيب، ﴿ فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴾ فيأتيهم الرد من الله تعالى: ﴿ قَالَ الْخَسْتُواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، أي: ابعدوا من رحمتي وعطفي، وذلُوا فيها، وكونوا صاغرين في النار، ولا تكلموني بعد ذلك، فينقطع رجاؤهم حينئذ (١).

ويتلطّف الكافرون المعذّبون في النار في الدعاء، ويكررون سؤال الله عَلا أن يخرجهم منها، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبّناً أَمَتَنا الله عَلا أَن يخرجهم منها، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبّناً أَمَتَنا الله عَلا أَنْ الله عَلا الله عَلا الله عَده الآية الكريمة تلطّفُوا في السؤال وقدّمُوا بين يدي كلامهم مُقدّمة، وهي قولهم: ﴿ رَبّناً آمَتَنا الله أَنكَيْنِ وَأَحْيلُتَنا الله أَمْ الله المواتا مُ المَتنا بعد ما كُنّا أمواتاً ثم أمتنا

<sup>(</sup>۱) ينظر: السمرقندي، "بحر العلوم"، ۲: ۹۰، والقيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ۷: ٥٠٠٥، والسمعاني، "تفسير السمعاني"، ۳: ٤٩٢، والرازي، "تفسير الرازي"، ۳۳: ۲۳، والرخشري، "الكشاف"، ٤: ٢٠، والرازي، "تفسير الرازي"، ۲۰: ۲۰، والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ٩٦، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٩٨، والتنوير"، والألوسي، "روح المعاني"، ٩: ٢٦٦، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢٨: ١٨٨.

ويؤمِّل الكافرون المعذَّبون في النار أنّ دعاءهم سيُجاب إذا رفعوا به أصواتهم، فيعلو صراخهم ويشتدُّ عويلهم، ويدعون ربهم راجين أن يخرجهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصَطَرِحُونَ فِهَا رَبَّنَا أَخْرِجُنَا نَعْمَلُ صَلِحًا عَيْرَالَذِى كُنَا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧]، فيأتيهم الردّ الذي يقطع آمالهم من الرجوع إلى الدنيا، فيقول الله وَ لَكُلُّ لهم: ﴿ أُولَمُ نُعُمِّرُكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّلِمِينَ مِن نَصِيرٍ ﴾ [فاطر:

<sup>(</sup>١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٧: ١٣٣.

٣٧]، فيعترفون في ذلك الوقت بضلالهم وكفرهم وقلة عقولهم، ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَّا فِي أَصْحَكِ ٱلسَّعِيرِ ﴿ ﴾ [الملك: ١٠].

وعندما لا تجاب أدعية أهل النار التي سبق ذكرها يتوجهون بالنداء إلى خزنة جهنم، فيطلبون منهم أن يدعوا لهم؛ كي يخفف الله عنهم شيئاً مما يعانونه من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿ اللَّ ﴾ [غافر: ٤٩]، فيأتيهم التوبيخ مِن خزنة جهنم أيضاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم وِالْبَيِّنَاتِّ قَالُواْ بَكَيْ قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَتَوُّا ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَلٍ ۞ ﴾ [غافر: ٥٠]، فعند ذلك يسأل الكافرون خازن النار الشفاعة كي يهلكهم ربمم، كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَكُلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ الزخرف: ٧٧، فيأتيهم الجواب القاطع لآمالهم في الخروج من النار أو الموت؛ ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَّلِكُنُونَ ﴾ [الذخرف: ٧٧]، فبقاؤكم في النار أبديّ، إنه الرفض لكل ما يطلبون، لا خروج من النار، ولا تخفيف من عذابها، ولا إهلاك، بل هو العذاب الأبدى السرمدي الدائم، ويقال لهم آنذاك: ﴿ أَصْلَوْهَا ٱلْيُوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ الله إيس: ٦٤]، فهناك يشتد نحيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ فَلِيلًا وَلْبَبَّكُواْ كَثِيرًا جَزَاءًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ آ ﴾ [التوبة: ٨٢] (١).

<sup>(</sup>۱) ينظر: الأشقر، عمر بن سليمان. "الجنة والنار". (ط۷، عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م): ١٠٦.

# المبحث الثالث: إجابة دعاء الكافرين

وفيه ثلاثة مطالب:

# المطلب الأول: أَمْر الكافرين بدعاء الله تعالى.

أراد الله عَلَيْ مِن عباده جميعاً أن يوجّدوه ويخلصوا له العبادة والدعاء، في السراء والضراء؛ لذا فقد أمرهم بدعائه، ووعدهم إجابته، وقدّر عليهم من الأقدار ما يوجب سؤاله، وذلك لضعف العباد وحاجتهم إلى ربِّهم في كل حال. قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَقَالَ رَبُّكُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَقَالَ رَبُكُمُ وَاللَّهُ وَاللَّلُ وَاللَّهُ وَال

<sup>(</sup>۱) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ۱۱: ۳۰۵، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ۷: ۲۲۷.

والسُّوَّال بالتذلل، وفلان يتَضَرَّع، أي: أنه سَأَلَ متذللا(۱)، فمعنى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُم بِنَصَرَّعُونَ ﴾ أي: يَدْعُون الله ليكشف عنهم البأساء والضراء، ويذِلُون له، ويتوبون من كفرهم ومعاصيهم (۱)، ثم قال سبحانه: ﴿ فَلَوَّلآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾، فنفى التضرع عنهم، كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، "وفي هذا تسلية للرّسول و وأنّ عادة الأمم مع رسلهم التّكذيب والمبالغة في قسوة القلوب حتى هم إذا أُخِذُوا بالبلايا لا يتذلّلون لله ولا يسألونه كشفها (۱)؛ حتى قيل: إنّ الكفار الأمم السابقة كانوا أرسحَ في الكفر مِمّن بُعِث فيهم نبيّنا وأشد منهم إصراراً على الظلم، فإنّ قومه يدعون الله تعالى وحده عند شدة الضيق، وينسون ما اتّخذوه مِن دونه مِن الأولياء والأنداد، وأمّا تلك فطرقم، ولم تُصْلِحُ ما أفسد الشيطان مِن فطرقم! (٤).

(١) ينظر: السمعاني، "تفسير السمعاني"، ٢: ١٠٣، والبغوي، "معالم التنزيل"، ٢: ٢٣٠٠

<sup>(</sup>٢) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٦: ٤٢٥، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٢٥٦، وأبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٣: ١٣٣، والألوسي، "روح المعاني"، ٤: ٢٤٣، والسعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٢٥٦.

<sup>(</sup>٣) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٤: ٥١٣.

<sup>(</sup>٤) ينظر: رضا، "تفسير المنار"، ٧: ٣٤٥.

وفي هاتين الآيتين أيضاً عِتابٌ للكافرين "على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرّعوا حين نزول العذاب. ويجوز أن يكونوا تضرّعُوا تضرّعُوا تضرّعُوا حين لابسهم العذاب، والتضرُّع على هذه الوجوه غير نافع، والدعاء مأمور به حال الرخاء والشدة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ مُ اَدْعُونِي ٓ السَّيَجِبُ لَكُو إِنَّ الَّذِيبَ يَسَتَكُمِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدُخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ مُ اَدْعُونِ ٓ السَّعِبُ لَكُو إِنَّ اللَّذِيبَ يَسَتَكُمِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدُخُلُونَ جَهَنَمَ دَاخِرِينَ ﴿ وَلَكِن قَسَتُ قُلُوبُهُمْ ﴾ الانعام: ٣٤، أي صلبَت وغلُظَت، وهي عبارةً عن الكفر والإصرار على المعصية، نسأل الله العافية، ﴿ وَزَيّنَ عَبارةً عن الكفر والإصرار على المعصية، نسأل الله العافية، ﴿ وَزَيّنَ الله عالمانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]، أي: أغواهم عليها"(١).

وقد يُستشكل نفي تضرّع الكفار ودعائهم الله تعالى وقت نزول البأساء والضراء بهم كما في هذا الموضع، مع أنّ الله ﷺ ذكر في آيات أخرى أنهم يخلصون له الدعاء وقت حلول الضر بهم، وأُجيبَ عن هذا مِن ثلاثة أوجه (٢):

الوجه الأول: أنّ لجوءهم إلى دعاء الله تعالى عند نزول الشدائد بحم لا يكون دائماً، بل قد يلجؤون إليه ويدعونه، وقد يعرضون عن دعائه في بعض الأحيان إمعاناً في الكفر والضلال.

<sup>(</sup>١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٦: ٤٢٥.

<sup>(</sup>٢) ينظر: المرجع السابق.

الوجه الثاني: أنّ الذين أخبر عنهم من الكافرين أنهم يلجؤون إلى الله بالدعاء وقت نزول الشدة بهم هم أقوام، والذين يعرضون فلا يدعون الله حتى عند نزول الشدة بهم أقوام آخرون منهم.

الوجه الثالث: أنّ دعاء أولئك الكفار الله تعالى حين يمسهم الضر إنما هو دعاءٌ لرفع الضر وكشف البأس، وليس صلاحاً منهم في ذلك الوقت وعودة حقيقية لربمم جل وعلا، فلذلك نُفي الدعاء، فكأنهم لم يدعوا ولم يتضرعوا.

قال الرازي: "فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَوْلُهُ: ﴿ بَلَ إِيَّاهُ تَدَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤]، يدل على أنهم تضرعوا؟ وهاهنا يَقُولُ: ﴿ قَسَتُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنعام: ٤٦]، ولم يتضرّعوا، قلنا: أولئك أقوام، وهؤلاء أقوام آخرون، أو نقول:

<sup>(</sup>١) الرازي، "تفسير الرازي"، ١٢: ٥٣٣.

# مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

أولئك تضرّعوا لطلب إزالة البليّة ولم يتضرّعوا على سبيل الإخلاص لله تعالى، فلهذا الفرق حسن النفي والإثبات "(١).

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأوجه وجمة رابع، وهو: أنهم إذا فوجئوا بعذاب يبغتهم فإنهم يلجؤون إلى الله ويدعونه، أمّا إذا لم ينزل بهم العذاب دفعة واحدة، وإنما نزل بهم بلاء إثر بلاء، فإنهم يستمرون في غوايتهم وبعدهم عن الله، ويألفون الأمن من مكره، ويحتجون بأنّ آباءهم أصيبوا بمثل ذلك فلم يؤمنوا، فهم على سننهم؛ كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَبِي إِلَّا أَخَذُنا أَهُلَها بِأَلْبَأْسَاتِه وَالضَّرَّاء فَالْسَرَّاء وَالضَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْسَرَّاء وَالْمَان السَيِتَة الْحَسَنة وَهُمْ لا يَشْعُمُون الله والأعراف: ٩٤ - ٩٥].

فالذي يظهر أنّ الكافرين وإنْ كانوا يلجؤون إلى الله بالدعاء الخالص في وقت نزول شدة عاجلة وعذاب مفاجئ؛ كاضطراب السفن بحم في البحر ونحوه، إلا أنهم لا يخلصون الدعاء لله وقت حصول العذاب الذي لا يأتيهم بغتة؛ كحصول قحط، أو جدب، أو جوع، أو مرض، أو هزيمة في معركة، ونحو ذلك، وقد أخبر الله تعالى بذلك عنهم

<sup>(</sup>١)الرازي، "تفسير الرازي"، ١٢: ٥٣٣.

في قوله: ﴿ وَلَقَدُ أَخَذَنَهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنَضَرَّعُونَ ﴿ ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

ومعنى: "﴿ فَمَا اَسْتَكَانُواْ لِرَبِهِمْ ﴾ أي: ما خضعوا له، ولا ذَلُوا وما يتضرّعون أي: ما يبتهلون إليه بالدعاء متضرّعين له، ليكشف عنهم ذلك العذاب، لِشِدّة قسوة قلوبهم، وبُعدهم مِن الاتّعاظ ((۱))، فهم لا يعودون إلى الله وقت نزول تلك الأحداث بهم، ولا يدعونه، ولا يتركون كفرهم وإشراكهم، مع أنّ الله تعالى إنما يصيبهم ببعض العذاب الدنيوي ليعودوا إليه، ويخلصوا له العبادة، ويذروا كفرهم وشركهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنُذِيقَنّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلّهُمْ مِن شدائده، تنبيها لهم؛ ولكنهم لا ينتبهون ولا ينزجرون، ولو أنهم إذ رأوا العذاب فزعوا إلى التضرع والابتهال لأسرع الله إزالته عنهم، ولكنهم أصرّوا على باطلهم، ليقضى الله أمراكان مفعولاً ((۲))، ولَمَّا لم يعودوا إلى المتضرع والابتهال لأسرع الله إزالته عنهم، ولكنهم أصرّوا على باطلهم، ليقضى الله أمراكان مفعولاً ((۲))، ولَمَّا لم يعودوا إلى

<sup>(</sup>۱) الشنقيطي، "أضواء البيان"، ٥: ٣٤٥، وينظر: السمرقندي، "بحر العلوم"، ٢: ٧٤٧، والقرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٢: ١٤٣، وابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٤٨٧.

<sup>(</sup>٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن. "لطائف الإشارات"، المسمى "تفسير القشيري". تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، غير محدد لسنة الطبع)، ٢: ٥٨٣، بتصرف.

### مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

الله تعالى، ولم يخلصوا العبادة والدعاء عند إصابتهم بتلك الابتلاءات، استحقوا العذاب الأكبر الذي يستأصلهم؛ كما قال سبحانه: ﴿ حَتَىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابِ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ ﴾ [المؤمنون: ٧٧]، أي: "آيسون مِن كلّ خير" (١).

# المطلب الثاني: حكم القرآن على دعاء الكافرين.

<sup>(</sup>١) البغوي، "معالم التنزيل"، ٣: ٣٧٢.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الرازي، "تفسير الرازي"، ١٢: ٥٣٣، والبيضاوي، "لباب التأويل"، ٢: ١٢: ١١٢.

ثُشَرَكُونَ ﴿ وَهَذَا قَد يُفْهِم منه أنه الْمُعْرَفِ وَهَذَا قَد يُفْهِم منه أنه إنما نجّاهم إجابةً لدعائهم، مع علمه سبحانه أنهم سيشركون به بعد ذلك؛ لكن الله عَظِلٌ وعد مَن دعاه أن يجيب دعوته، وخاصة المضطر الذي يسأل كشف الضر والسوء النازل به؛ كما قال تعالى: ﴿ أُمَّن يُعِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِكُ مُنَعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ١٠٠ ﴾ [النمل: ٦٢]، فلم يحدد في هذه الآية ديانة المضطر الذي يجيبه الله، فتبيّن أنّ الله يجيب كل مضطرّ دعاه. قال القرطبي: "ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أنّ الضرورة إليه باللجاءِ ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وُجِد مِن مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُدُ فِ ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيجٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا رِيخٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِيرٌ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَبِنَ أَنْجَيْنَنَا مِنْ هَالْمِهِ لَنَكُونَكَ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ ١٣٠ ﴾ [يونس: ٢١]، وقوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلُكِ دَعُواْ ٱللَّهَ تُعْلِصِينَ لَهُ ٱلَّذِينَ فَلَمَّا خَعَنهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمَّ يُشْرِكُونَ ﴿ ﴿ [العنكبوت: ٦٥]، فأجابَهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم، فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه، وفي الحديث: «ثلاث دعواتٍ

#### مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

مُستجاباتٍ لا شكّ فيهنّ؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»<sup>(۱)</sup>، وفي صحيح مسلم<sup>(۲)</sup> أنّ النبي شي قال لمعاذٍ هي لَمَّا وجّهه إلى أرض اليمن: «واتّق دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(۳)</sup>؛ بل ورد في الحديث الآخر النص على أنّ الله تعالى يجيب دعوة الداعي ولو كان كافراً، فقد جاء عن النبي شي أنه قال: «اتّقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونما حجاب»<sup>(۱)</sup>، وهذا يدل

<sup>(</sup>۱) أخرجه أحمد في مسنده:(۲۲/۱٤)، برقم(۸۰۸۱)، وأبو داود في سننه:(۸۹/۲)، برقم(۸۹/۲)، والترمذي في سننه:(۲۱٤/۲)، برقم(۱۹۰۰)، كلهم عن أبي هريرة هي، والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود:(۲۰/۱٤)، برقم(۱۹۳۳)، وكذا في صحيح سنن الترمذي:(۲۰/۱۶)، برقم(۱۹۳۳).

<sup>(</sup>٢) بل الحديث في الصحيحين، فقد راوه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع:(١٦٢/٥)، برقم(٤٣٤٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام:(١/٠٥)، برقم(١٩)، كلاهما عن ابن عباس رضى الله عنهما.

<sup>(</sup>٣) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٣: ٢٢٣.

<sup>(</sup>٤) أخرجه أحمد في مسنده:(٢٢/٢٠)، برقم(٩١٥٤)، عن أنس بن مالك الله وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب":(٢/٥٣٥)، برقم(٢٢٣١).

على إجابة الله لدعوة الكافر المظلوم؛ لأنّ الله يأمر بالعدل، وينهى عن الظلم، وينتصف للمظلومين وإن كانوا كفارًا؛ لكمال عدله سبحانه وتعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافرهم، وقد يجيب الله دعاء الكفار، فإنّ الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم ويسقيهم..."(١)، وقال أيضًا: "وأما إجابة السائلين فعامّ، فإنّ الله يجيب دعوة المضطر ودعوة المظلوم وإن كان كافراً"(٢).

وقد قال سبحانه مُمْتَنّاً على عباده عموماً: ﴿ وَءَاتَنكُم مِن كُلُ مَا سَأَلَتُمُوهُ ۚ ﴾ [ابراهيم: ٣٤]، "أي: أعطاكم من كُلُ ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك"(")، وإعطاء العباد مِن كُلُ ما سألوه يلزم منه إجابة دعوة كُلُ داعٍ وإن كان كافراً، ويدلُّ لهذا أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَمِن النّاسِ مَن يَقُولُ رَبّنَا ءَانِنا فِي ٱلدُّنيَا وَمَا لَهُ وَمِنهُم مَن يَقُولُ رَبّنَا ءَانِنا فِي ٱلدُّنيَا وَمَا لَهُ مَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ ﴿ وَمِنهُم مَن يَقُولُ رَبّنَا ءَانِنا فِي ٱلدُّنيَا فِي ٱلدُّنيَا وَمَا لَهُ مَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرةِ مِن خَلَقٍ ﴿ وَمِنهُم مَن يَقُولُ رَبّنَا ءَانِنا فِي ٱلدُّنيَا فِي ٱلدُّنيَا وَمَا لَهُ وَمِنهُم مَن يَقُولُ رَبّنَا ءَانِنا فِي ٱلدُّنيَا وَمَا لَهُ مَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرةِ مَسَنَةً وَقِياً عَذَابَ ٱلنَّادِ ﴿ أَنَا اللّهُ عَلَى لَهُمْ نَصِيبُ مَمَا كُسَبُوا ﴾ [البقرة: ٢٠٠٠ - ٢٠٠]، فأخبر الله عَظِل في هذه الآيات "عن عَمَا كُسَبُوا ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٠]، فأخبر الله عَظِل في هذه الآيات "عن

<sup>(</sup>١) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١: ٢٠٦.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق، ١: ٢٢٣.

<sup>(</sup>٣) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٢٦٦.

أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: ﴿ مَن يَعُولُ رَبَّنَا عَالِنَا فِي ٱلدُّنِيَا ﴾ أي: يسأله مِن مطالب الدنيا ما هو مِن شهواته، وليس له في الآخرة مِن نصيب، لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم، وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم وهماتهم ونياتهم، جزاءً دائراً بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أنّ الله يجيب دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين الله الدين الدين الدين الهه الدين الهه الله المناه المناه المناه المناه المناه المنه الله المناه المنا

وقال بعض العلماء: إنّ دعاء الكافرين لا يُجاب؛ مستدلاً بقول الله سبحانه: ﴿ وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، و[غافر: ٥٠]. "أي إِلَّا في ضياعٍ لا منفعة فيه؛ لأخّم إنْ دعوا الله لم يُجِبْهم وإن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم "(٢)، ومعنى هذا أنّ دعاءهم يضل

<sup>(</sup>١)السعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٢٦٤.

<sup>(</sup>۲) الرازي، "تفسير الرازي"، ۱۹: ۲۶، وينظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ۷: ۱۹، والبقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". تحقيق: عبدالرزاق المهدي. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۹۹٥م)، ۱۰: ۳۰۲.

فيذهب في غير طريق موصل كما كانوا هم في الدنيا كذلك، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة، مَن زرع شيئاً في الدنيا حصده في الآخرة، والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر إلا مِن جِنْسِ ما غرس في الدنيا<sup>(۱)</sup>، وذلك "لأنّ الكفر محبِطٌ لجميع الأعمال صادُّ لإجابة الدعاء"<sup>(۲)</sup>، فلهذا استدل بهذه الآية مَن قال: إنّ دعاء الكافر لا يستجاب، وأنه لا يُمكَّن من الخروج في الاستسقاء<sup>(۳)</sup>.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّيْنِ كَذَّبُوا بِعَايَنِنَا وَالْمَعْرَافَ عَنْهَا لَا نُقَنَّحُ لَمُمْ أَبُوبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، "قال بعض العلماء: ﴿ لَا نُقَنَّحُ لَهُمْ أَبُوبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾، لاستجابة دعواتهم؛ لأن دعواتهم مردودة "(٤).

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٧: ٨٦.

<sup>(</sup>٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن": ٧٣٩.

<sup>(</sup>٣) ينظر: السمعاني، "تفسير السمعاني"، ٥: ٢٥، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإكليل في استنباط التنزيل". تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكتب العلمية، ١٩٨١م): ٢٢٦.

<sup>(</sup>٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "العذب النّمِير مِن مجالس الشنقيطيّ في التفسير". تحقيق: خالد بن عثمان السبت. إشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد. (ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ٣: ٢٤٢.

وقال ابن عاشور مبيّناً دلالة اسم الإشارة في قوله سبحانه: ﴿ أُولَتَهِكَ لَهُمْ نَصِيبُ مِّمَا كُسَبُوا ﴾ [البقرة: ٢٠٢]: "واسم الإشارة مُشِيرٌ إلى الناس الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَ ءَانِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآثِيرَةِ حَسَنَةً وَفِي ٱلْآثِيرَةِ وَسَنَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١]، للتنبيه باسم الإشارة على أنّ اتصافهم بما بعد اسم الإشارة شيءٌ استحقُّوه بسبب الإخبار عنهم بما قبل اسم الإشارة، أي أنّ الله استجاب لهم لأجلِ إيمانهم بالآخرة، فيُفهم منه أنّ دعاء الكافرين في ضلال"(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ اَدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُ اَلْمُعْتَدِينَ ﴿ اَلْعُرافِ : ٥٥]، قال: "والمراد بِ ﴿ اَلْمُعْتَدِينَ ﴾ : المشركون؛ لأنّه يرادف الظالمين، والمعنى: ادْعُوا ربكم لأنه يحبكم ولا يحب المعتدين، كقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ اَدْعُونِي ٓ اَسْتَجِبَ لَكُو ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسَتَكُمِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدَخُلُونَ جَهَنَّم لَا يَحِينَ لَا يَعْرِينَ لَا يَعْرِينَ لَا يَعْرِينَ لَا المَا المَاعِدِينَ اللهُ مِنينَ، وَأَنه لا يستجيب دعاء الكافرين "(٢).

والراجح والله أعلم: هو التفريق بين دعاء الكافرين في الدنيا ودعاؤهم في الآخرة؛ ففي الدنيا قد يجيب الله تعالى أدعية الكافرين إن

<sup>(</sup>١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢: ٩٤٩.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق، ٨: ١٧٣.

شاء ذلك، أما في الآخرة فلا يستجيب لدعائهم، والآيتان اللتان بُيِّن فيهما ضلال دعاء الكافرين، وهي قوله تعالى -في سورتي الرعد وغافر -: ﴿ وَمَا دُعَتُوا اللَّهِ اللَّهِ فَا اللَّهِ فَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مِن سياقهما على أنّ ذلك في الآخرة.

فهذا الدعاء الذي يضِل ولا يُجاب هو "دعاء الكفار يوم القيامة"(١)، وقد ذكر الله تعالى في مواضع مِن كتابه أنّ الكافرين يدعون الله في الآخرة فلا يستجيب لهم، فإنهم "يسألون الرَّجعة، فلا يُجابون عند الاحتضار، ويوم النُّشور، ووقت العرض على الجبّار، وحين يُعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم"(٢).

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَتُواْ اللَّصَيفِينَ اللَّهِ فَي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، و[غافر: ٥٠]: "والمراد بهذا الدعاء إن كان دعاء آلهتهم فظاهر أنه كذلك؛ لكنه فُهِمَ مِن السابق، وحينئذ يكون مُكرَّراً للتأكيد، وإن كان دعاؤهم الله تعالى فقد استشكلوا ذلك بأنّ دعاء الكافر قد يستجاب،...واستجابة دعاء إبليس وهو رأس الكفار نصُّ في ذلك، وأجيب بأنّ المراد دعاؤهم الله تعالى بما يتعلق بالآخرة، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مِن أنّ

<sup>(</sup>١) الألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ٣٢٩.

<sup>(</sup>٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٩٩٣.

# مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاءهم، وقيل: يجوز أن يراد دعاؤهم مُطْلَقاً ولا يُقيّد بما أجيبوا به"(١).

ومال بعض العلماء إلى القول بأنّ المقصود بدعاء الكافرين الذي حُكِم عليه بالضلال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَتُوّاً ٱلۡكَنْوِينَ إِلّا فِي صَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، و[غافر: ٥٠]، هو دعاء العبادة لا دعاء المسألة؛ لأنّ الكفار يدعون الله تعالى في أوقات الشدائد والأهوال ومشارفتهم الغرق في البحر فيستجيب لهم، فيكون المراد بدعاء الكافرين الذي حُكِم عليه بأنه في ضلال هو دعاء العبادة، أي: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في ضلال، ويعضد هذا الرأي قوله تعالى قبله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَن دُونِهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله في ضلال هو دعاء الكافرين الذي يترجّح هو ما سبق مِن أنّ المراد بدعاء الكافرين الذي حُكِم عليه بأنه في ضلال هو دعاؤهم الله عَلَى الآخرة، أمّا أدعيتهم في الدنيا فقد يجيب الله شيئاً منها لحكمة، والعلم عند الله تعالى.

(١) الألوسي، "روح المعاني"، ٧: ١١٩.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر. "أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل". تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. (ط١، الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩١م): ٢٢٩.

# المطلب الثالث: الحِكم التي لأجلها قد يجيب الله عَلَى بعض دعاء الكافرين

تقدّم تقرير أنّ الله عَلَى قد يستجيب بعض أدعية الكافرين في الدنيا إذا شاء ذلك (۱)، ولكن لا يلزم من استجابته لدعائهم حبه لهم أو إعزازه وإكرامه لهم، أو رضاه عن دينهم ومعتقدهم، بل قد يكون ذلك من استدراجهم وتعجيل النعيم لهم في دنياهم ليذوقوا العذاب في الآخرة، فالله عَلَى لا يحب الكافرين ولا يرضى عنهم ولا عن كفرهم.

قال الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ ﴾ [الشورى: ٢٦]. "فقد اختلفوا، فقيل: يجيب الله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما طلبوه من فضله، فإن قالوا: تخصيص المؤمنين بإجابة الدعاء هل يدل على أنه تعالى لا يجيب دعاء الكفار؟ قلنا: قال بعضهم: لا يجوز؛ لأن إجابة الدعاء تعظيم، وذلك لا يليق بالكفار، وقيل: يجوز على بعض الوجوه، وفائدة التخصيص أنّ إجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التشريف، وإجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج"(٢).

<sup>(</sup>١) في المطلب السابق.

<sup>(</sup>٢) الرازي، "تفسير الرازي"، ٢٧: ٥٩٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فليس كل مَن متّعه الله برزق ونصر إما إجابة لدعائه وإما بدون ذلك يكون ممن يجبه الله ويواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر، وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا، ومالهم في الآخرة من خلاق...، ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء معتدياً فيه، إما بطلب مالا يصلح أو بالدعاء الذي فيه معصية الله من شرك أو غيره، فإذا حصل بعض غرضه ظن أنّ ذلك دليل على أنّ عمله صالح بمنزلة مَن أملى له وأمده بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]"(١).

وقال ابن القيم: "ليس كل مَن أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر. وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يُسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه، فيظن أن عمله صالح مرضيّ لله، ويكون بمنزلة من أملى له وأمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات وقد قال تعالى: ﴿ فَلَـمَا

<sup>(</sup>۱) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. (ط۷، بيروت: دار عالم الكتب، ۱۹۹۹م): ۸۹.

نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ عَنَحَنَا عَلَيْهِمْ أَبُوابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فالدعاء قد يكون مسألة تقضى فالدعاء قد يكون مسألة تقضى به حاجته ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده"(١).

والآيات التي دلّت على أن الله تعالى قد يجيب بعض دعوات الكافرين أشارت إلى أنّ ذلك يكون لإقامة الحجة عليهم، أو لإظهار رحمته وفضله ومنته بإغاثة الملهوفين ونجدة المضطرين، ونحو ذلك.

فتبيّن مِن هذا أنّ الله وعلى إن استجاب لدعاء الكافرين في الدنيا فإنّ ذلك لا يكون تكريماً لهم أو دلالة على رضى الله عنهم، وإنما يكون ذلك فتنةً لهم أو عقوبة، وقد تكون الإجابة خيراً لهم؛ كمن يدعو الله أن يبصّره بالحق ثم يهتدي بعد ذلك، وهذا مِن صور الاضطرار الذي وعد الله صاحبه بالإجابة، وكذلك إذا أجاب مَن يسأله النجاة حين يقع في مهلكة، وقد تكون الإجابة شرّاً على الكافر، فيُعطى ما يسأل من نعيم الدنيا، ولكن يكون فيه هلاكه، أو يكون ذلك نعيمه المعجّل في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق.

<sup>(</sup>۱) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان". تحقيق: محمد حامد الفقي. (ط۲، الرياض: مكتبة المعارف، غير محدد سنة الطبع)، ۱: ۱۳.

#### الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنّ دراستي لموضوع (دعاء الكافرين ربّ العالمين في القرآن الكريم)، توصّلت منها لنتائج أهمها:

١- أنّ دعاء الكافرين الله تعالى أكبر دليل على ضعفهم وشدة حاجتهم وافتقارهم لعنايته سبحانه، وإنما كان الكفر منهم ظلماً وعلوّاً جَلَبَ سوء العاقبة لهم؛ كما قال عَلَق ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوّاً ﴾ [النمل: ١٤].

٢- أنّ في دعاء الكافرين لربّ العالمين إقراراً منهم بربوبية الله جَلّ وعلا، وهذا الإقرار يفرض عليهم الإقرار بألوهيته؛ إذْ لو كان أحدٌ يستحق العبادة مِن دون الله ويستطيع إجابة دعائهم لَدَعَوهُ، خاصّةً وقت الضراء التي يسألون كشفها!.

٣- أنّ الكافرين إنما يخلصون لله الدعاء وقت حصول عذاب مفاجئ وسريع، أما حين تعرض لهم صنوف العذاب الدنيوي والابتلاء بأنواع المصائب فإنهم لا يتضرعون إلى الله ولا يدعونه، بل يستمرون في إعراضهم وغفلتهم وغرورهم.

٤ - قد يجيب الله بعض أدعية الكافرين في الدنيا إذا شاء ذلك،
 لحِكَم يريدها سبحانه، أمّا في الآخرة فلا تجاب لهم دعوة.

٥- أنّ إجابة بعض أدعية الكافرين في الدنيا ليس فيها دليلٌ على حُبِّ الله لهم أو رضاه بكفرهم، وإنما يكون في إجابته لدعائهم فتنةً لهم، أو عقوبةٌ، أو نعيمٌ معجّلٌ في الدنيا.

# أما التوصيات فهي كالآتي:

١- تناول موضوع: (دعاء الكافرين في السنة النبوية) بالدراسة الموضوعية، وذلك للوقوف على هذا الموضوع من جهة أخرى، وذلك باستعراض ما ورد من أدعية الكافرين المذكورة في السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

٢- إدراج موضوع (دعاء الكافرين في القرآن الكريم) ضمن الموضوعات التي تتضمنها الكتب التي تتناول موضوعات القرآن الكريم، وكذا الموسوعات التي جمعت بحوث التفسير الموضوعي؛ إذْ لم أرَ شيئاً منها ذكره، وذلك حسب اطلاعي.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

## المصادروالمراجع

# أولا: الكتب المطبوعة:

ابن الجزري، محمد بن محمد. "تحبير التيسير في القراءات العشر". المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. (ط١، عمّان: دار الفرقان، ٢٠٠٠م).

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. "زاد المسير في علم التفسير". (ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان". تحقيق: محمد حامد الفقي. (ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، غير محدد سنة الطبع).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "طريق الهجرتين وباب السعادتين". (ط٢، القاهرة: دار السلفية، ١٣٩٤هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. (ط٧، بيروت: دار عالم الكتب، ١٩٩٩م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٩٩٥م).

ابن حنبل، أحمد بن محمد. "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط۱، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م".

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. "حجة القراءات" تحقيق: سعيد الأفغاني. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، غير محدد لسنة الطبع.

ابن عادل، عمر بن علي الحنبلي. "اللباب في علوم الكتاب". تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (ط۱، تونس: دار سحنون، ۱۹۹۷م).

ابن عبدالوهاب، محمد بن عبدالوهاب. "القواعد الأربع"، (وهو مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول). تحقيق: عبدالعزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره. (ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، غير محدد لسنة الطبع).

ابن عطية، محمد عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٢٢هـ).

ابن فارس، أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط۱، القاهرة: دار الفكر، ۱۹۷۹م).

# مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٩٠ – الجزء الأول

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". (ط٢، دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ١٩٩٨م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط۳، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- أبو السعود، محمد بن محمد. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ).
- أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).
- الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- الأشقر، عمر بن سليمان. "الجنة والنار". (ط٧، عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م).
- الألباني، محمد ناصر الدين. "صحيح سنن أبي داود". (ط٢، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).
- الألباني، محمد ناصر الدين. "صحيح سنن الترمذي". (ط٢، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).
- الألوسي، محمود أبو الفضل. "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". (ط٣، بيروت: دار

ابن کثیر، ۱۹۸۷م).

البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط۱، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". تحقيق: عبدالرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).

البيضاوي، عبدالله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).

الترمذي، محمد بن عيسى. "جامع الترمذي". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، غير محدد لسنة الطبع).

الخازن، علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد علي شاهين. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥٠٤١هـ).

الخطابي، حمد بن محمد. "شأن الدعاء". تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق. (ط٣، دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٩٢م).

الخطيب، د. موسى الخطيب، بالاشتراك مع د. محمد محمود. "آيات الدعاء في القرآن الكريم- دعاء الصاحين أهل الجنة الأبرار، ويليه دعاء الكافرين الأشرار أهل النار من الإنس والجن".

(ط١، القاهرة: مركز الكتاب للنشر ، ٢٠٠٥م).

الخطيب، عبد الكريم بن يونس. "التفسير القرآني للقرآن". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، غير محدد لسنة الطبع).

الداني، عثمان بن سعيد. "التيسير في القراءات السبع". تحقيق: اوتو تريزل. (ط۲، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م).

الدمياطي، أحمد بن محمد. "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر". تحقيق: أنس مهرة. (ط۳، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

الرازي، محمد بن أبي بكر. "أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل". تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. (ط١، الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩١م).

الرازي، محمد بن عمر. "تفسير الرازي". (ط۳، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: محمد سيد كيلاني. (ط۳، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلمي وشركاه، ١٣٨١هـ).

رضا، محمد رشيد. "تفسير المنار". (ط۱، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۹۰م).

الزجاّج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل

عبده شلبي، (ط۱، بيروت: عالم الكتب، ۱۹۸۸م).

الزمخشري، محمود بن عمرو. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م).

السمرقندي، نصر بن محمد. "بحر العلوم". تحقيق: علي محمد معوّض، وآخرون. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، غير محدد لسنة الطبع).

السمعاني، منصور بن محمد. "تفسير السمعاني". (ط۱، المدينة المنورة: دار البخاري، ۱۹۹۲م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الإكليل في استنباط التنزيل". تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (ط١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "العذب النّمِير مِن مجالس الشنقيطيّ في التفسير". تحقيق: خالد بن عثمان السبت. إشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد. (ط٢، مكة المكرمة:

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ٢٦٦هـ).

الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير". (ط١، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط۳، الطبري، محمد بن جرير. "جامع البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م).

العكبري، عبد الله بن الحسين. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي. (ط۱، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م).

الفيومي، أحمد بن محمد. "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، غير محدد لسنة الطبع).

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". (ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤م).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. "لطائف الإشارات"، المسمى (تفسير القشيري). تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط۳، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، غير محدد لسنة الطبع).

القيسي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي. (ط:١، الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٨م).

الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات". تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، غير محدد لسنة الطبع).

الكلبي، محمد بن أحمد. "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: محمد سالم هاشم. (ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).

مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، وآخرون. "المعجم الوسيط". (ط١، القاهرة: دار الدعوة، غير محدد لسنة الطبع).

المراغي، أحمد بن مصطفى. "تفسير المراغي". (ط۱، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٤٦م).

مسلم، مسلم بن الحجاج. "صحيح مسلم". (ط۳، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٤٠هـ).

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين. "التوقيف على مهمات التعاريف". (ط١، القاهرة: عالم الكتب،

۱۹۹۰م).

النووي، يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط۲، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

الواحدي، علي بن أحمد. "التفسير البسيط". تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. (ط١، الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، "الموسوعة الفقهية الكويتية". (ط١، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٧هـ).

# ثانياً: رسائل علمية غير مطبوعة:

الإندونيسي، أول الدين يحيى. "آيات الكفر في القرآن الكريم دراسة موضوعية". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، عام ١٤٣٤هـ).

جهاد محمد بونجا تنجونج. "الدعاء في ضوء الكتاب والسنة". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف الدكتور: العجمي دمنهوري خليفة، عام ١٤٠١هـ).

اللحياني، بمية بنت حامد. "الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف الدكتور: يوسف عبدالله الأنصاري، عام ٢٢٢هـ).

مدني، نور زمان. "الصور البلاغية في الأدعية القرآنية". (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة العربية وآدابها من الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد، إشراف الدكتور: كفاية الله همداني، عام ٢٠١١م).

المدهون، روضة بنت سليم. "المفاهيم المستمدة من آيات الدعاء في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص أصول التربية الإسلامية من الجامعة الإسلامية بغزّة، إشراف الدكتور: حمدان عبدالله الصوفي، عام ١٤٣٠هـ).

مفيض الرحمن، مرشد عالم. "الأدعية في القرآن الكريم، صيغها وخصائصها ودلالاتها، موازنة بما ورد في السنة النبوية". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن الكريم من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف الدكتور: عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، عام ١٤١٦هـ).

المهيزع، خلود بنت عبدالرحمن. "الدعاء واحكامه الفقهية". (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٤هـ).

#### **Bibliography**

#### **First: Published books:**

- Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed. "Irshad al-Aql as-Saleem ila Mazaayaa al-Quran al-Karim". (2<sup>nd</sup> ed., Beirut: Daar Ihyaa at-Turath al-Arabi, 1411H).
- Abu Hayyan, Mohammed bin Yusuf. "Al-Bahr al-Muheet fii at-Tafseer." (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1993AD).
- Al-Albani, Mohamed Nasiruddin. "Sahih Sunan Abu Dawood." (2nd ed., Riyadh: Dar Al-Ma'aref for Publication and Distribution, 2000AD).
- Al-Albani, Mohamed Nasiruddin. "Sahih Sunan Al-Tirmidhi." (2nd ed., Riyadh: Dar Al-Ma'aref for Publication and Distribution, 2000AD).
- Al-Ashqar, Omar bin Suleiman. "Al-Jannat wa an-Naar". (7th ed., Amman: Dar Al-Nafa'es for Publication and Distribution, 1998AD).
- Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed. "Tahdhib al-Lughat". Investigated by: Mohamed Awad Mor'eb. (1st ed., Beirut: Daar Ihyaa at-Turath al-Arabi, 2001AD).
- Al-Baghawi, Al-Husein ben Masoud, "Ma'alim at-Tanzeel fii tafseer al-Quran", Investigated by: Abdul-Razaq Al-Mahdi. (1st ed., Beirut: Daar Ihyaa at-Turath al-Arabi, 1420H).
- Al-Baidawi, Abdullah bin Omar. "Anwaar at-Tanzeel wa asraar at-Ta'weel" (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 2003AD).
- Al-Biqa'ie, Ibrahim bin Omar. "Nadhm Al-Dorar fii tanaasub al-A'yaat wa as-Suwar" Investigated by: Abdul-Razzaq Al-Mahdi. (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1995).
- Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. "Sahih Al-Bukhari". (3rd ed., Beirut: Dar Ibn Katheer, 1987AD).
- Al-Dani, Othman bin Said. "At-Tayseer fii al-Qira'at as-

- Sab'i". ". Investigated by: Otto Triesl. (2nd ed., Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1984AD).
- Al-Dimiyati, Ahmed bin Mohammed. "Ethaf al-Fudalai al-Bashar fii al-Qira'at al-Arba' ashar." Investigated by: Anas Mohrah. (3rd ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 2006AD).
- Al-Fayoumi, Ahmed Mohammed, " Al-Mesbah Al-Moneer Fi Gharib Al-Sharh Al-Kabeer". ((1st ed., 1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, year of publication not specified).
- Al-Kafawi, Ayoub ben Mousa. "Al-Kuliyaat". Investigated by: Adnan Darweish& Mohammed Al-Masry. (1st ed., Beirut: Muassasat ar-Risaalat, year of publication not specified).
- Al-Kalbi, Mohammed bin Ahmed. "At-Tasheel li oloom at-Tanzeel". Investigated by: Mohammed Salem Hashem. (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1995AD).
- Al-Khatib, Abdel-Karim Ben Younis. "At-Tafseer al-Qur'aani li al-Quran". (1st ed., Cairo: Dar al-Fikr Al-Arabi, the year of publication not specified).
- Al-Khatib, Dr. Mousa Al-Khatib, in partnership with Dr. Mohamed Mahmoud. "Aayaat ad-Dua fii al-Quran al-Karim Duau as-Saliheen ahl al-Jannat al-Abraar, wa yalih duau al-Kafireen al-Ashraar ahl an-Naar min al-Ins wa al-Jin." (1st ed., Cairo: The Book Center for Publishing, 2005AD).
- Al-Khattabi, Hamad bin Mohammed. "Sha'n Al-Du'aa". Investigated by: Ahmed Yousef Al-Daqqaq. (3rd ed., Damascus: Daar at-Thaqafat al-Arabiyat, 1992AD).
- Al-Khazen, Ali Mohammed, "Lobab Al-Ta'weel fii Ma'ani at-Tanzeel". Investigated by: Mohammed Ali Shaheen, (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat,

1415H).

- Al-Manawi, Zein Al-Dein Mohammed, named Abdul-Raouf ben Taj Al-A'refeen. "Al-Tawqeef ala Muhimaat at-Ta'areef". (1st ed., Cairo, A'lam al-Kutub, 1990AD)
- Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa. "Tafseer Al-Maraghi". (1st ed., Cairo: Eissa Al-Babi Al-Halabi & Co. Press, 1946AD).
- Al-Nawawi, Yahya bin Shraf. "Al-Minhaj Sharh Saheeh Muslim bin Al-Hajaj". (2st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1392H).
- Al-Okbari, Abdullah bin Al-Hussein. "Al-Tebyan fii I'rab al-Quran." Investigated by: Ali Mohammed Al -Bagawi. (1st ed., Cairo: Eissa Al-Babi Al-Halabi & Co. Press, 1976AD).
- Alousi, Mahmoud Abou Al-Fadhl. "Ruh al-Ma'ani fii tafseer al-Quran wa as-Sab'h al-Mathaani". (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1994AD).
- Al-Qaisi Makky ben Abi-Taleb, "Al-Hidaayat ilaa bulug an-Nihayat fii ilm ma'aani al-Quran wa tafseerihi, wa ahkaamih, wa jumal min funun uloomih". Investigated by some researchers in theses in The Faculty of graduate studies and scientific research supervised by Prof. Al-Shahed Al-Boushekhy (1st ed, Al-Sharjah, Group of Quran and Sunna researches, Faculty of Sharia and Islamic studies, 2008AD).
- Al-Qasemi, Mohammed Gamal Al-Dein ben Mohammed "Mahasen Al-Ta'weel". Investigated by: Mohammed Basel Oyoun Al-Soud. (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1418H).
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. "Al-Jame'e li ah-Kaam al-Quran." (1st ed., Cairo: Dar al-Hadith, 1994AD).

- Al-Qusheiry, Abdul-Karim bin Hawazin. "Latae'f Al-Esharart", named (Tafseer Al-Qusayri). Investigated by: Ibrahim Al-Basioni, (3rd ed., Cairo: General Egyptian Book Organization, the year of publication not specified).
- Al-Ragheb Al-Asfahani, Hussein bin Mohammed. "Al-Mufradaat fii Gareeb al-Quran." Investigated by: Mohamed Sayed Kilani. (3rd ed., Cairo: Eissa Al-Babi Al-Halabi & Co. Press, 1381H).
- Al-Razi, Mohammed bin Abi-Bakr. "Onmuzaj Jaleel fii aselat wa ajwebat an garaib aayi at-Tanzeel." Investigated by: Dr. Abdul-Rahman bin Ibrahim Al-Matroudi. (1st ed., Riyadh: Daar A'lam al-Kutub, 1991AD).
- Al-Razi, Mohammed bin Omar. "Tafseer Al-Razi". (3rd ed., Beirut: Daar Ihyah at-Turath al-Arabiyat, 1420 H).
- Al-Saadi, Abdul-Rahman bin Nasser. "Tayseer Al-Karim Al-Rahman fii tafseer kalaam Al-Mannan". (1st ed., Beirut: Muassasat ar-Risaalat, 2002AD).
- Al-Samaani, Mansour bin Mohammed. "Tafseer Al-Sam'aani " (1st ed., Madina: Dar al-Bukhari, 1992AD).
- Al-Samarqandi, Nasr Mohammed, "Bahr al-Uloom". Investigated by: Ali Mohammed Moawad, et al, (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat, year of publication not specified).
- Al-Shanqeeti, Mohammed Al-Ameen bin Mohammed Al-Mukhtar. "Al-Athb Al-Nameer min Majales Al-Shanqeeti fii Tafseer." Investigated by: Khalid bin Othman Al-Sabt. Supervised by Sheikh: Bakr bin Abdullah Abu Zeid. (2nd ed., Makkah: Dar A'lam Al-Fawaid for Publication and Distribution, 1426H).
- Al-Shanqeeti, Mohammed Al-Amin Mohammed ben Al

- Mohammed Al-Mokhtar. "Adwau al-Bayan fii I'doh al-Quran bi al-Quran". (1st ed., Beirut, Dar Al-Fekr and Press for Publication and Distribution, 1995).
- Al-Shawkani, Mohammed bin Ali. "Fath Al-Qadeer al-Jamih bain fanai ar-Riwaayat wa ad-Diraayat fii ilm tafseer." (1sted., Beirut: Dar Ibn Katheer, Dar Al-Kalem Al-Tayeb, 1414H).
- Al-Soyouti, Abdul-Rahman ben Abi-Bakr, "Al-Ekleel fii Istinbaat at-Tanzeel". Investigated by: Seif Al-Dein Abdul-Qader Al-Kateb. (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat, 1418H).
- Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. "Jame'e Al-Bayan an ta'weel aayi al-Quran". (3rd ed., Cairo: Eissa El-Babi El-Halabi & Co., 1968AD).
- Al-Tirmidhi, Mohammed bin Essa. "Jame'i Al-Tirmidhi". (1st ed., Beirut: Daar Ihyah at-Turath al-Arabi, the year of publication not specified).
- Al-Wahidi, Ali bin Ahmed. "At-Tafseer al-Baseet " Investigated by: Originally investigated in (15) PhD thesis at the University of Imam Muhammad bin Saud, and then reformulated and assorted by a scientific committee of the University. (1st ed., Riyadh: Deanship of Scientific Research at the Islamic University of Imam Muhammad bin Saud, 1430 H).
- Al-Zajjaj, Ibrahim ibn Al-Sorri."Ma'aani al-Quran wa I'rabuh". Investigated by: Abdul-Jalil Abdo Shalabi, (1st ed., Beirut: World of Books, 1988AD).
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amro. "Al-Kashaf an Haqaiq Gawamid at-Tanzeel" (3rd ed., Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1407H).
- Ibn Abdul-Wahab, Mohammed bin Abdul-Wahab. "Al-Qawaid al-Arba'at" (published within the writings of Sheikh Mohammed bin Abdul-Wahab, Part I).

- Investigated by: Abdul-Aziz bin Abdul-Rahman Al-Saeed et al, (1st ed., Riyadh: Imam Mohammed bin Saud University, for the year of publication not specified).
- Ibn Adel, Omar bin Ali al-Hanbali. "Al-Lubaab fii Uloom al-Kitab". Investigated by: Adel Ahmed Abdul-Mawjoud, and Ali Muhammed Mua'wwad. (1<sup>st</sup> ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyyat, 1997).
- Ibn al-Jawzi, Abdul-Rahman bin Ali. "Zad Al-Moseer fii ilm aTafseer " 4th ed., Beirut: al-Maktab al-Islaami, 1987AD.).
- Ibn al-Jazari, Muhammad ibn Muhammad. "Tahbir Al-Taiseer fii al-Qira'at al-Ashri." Investigated by: Dr. Ahmed Mohamed Mofleh Al-Qodat. (1st ed., Amman: Dar al-Furqan, 2000AD.).
- Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. "Eghathat Al-Lahfan Min Masa'id as-Shaytan ". Investigated by: Mohammed Hamid Al-Feqi. (2nd ed., Riyadh: Al-Ma'aref Bookshop, Year of publication not specified).
- Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. "Tareeq al-Hijratain Wa baab as-Sa'aadatain" (2nd ed., Cairo: Dar Al Salafiyya, 1394 AH).
- Ibn Ashour, Mohamed Al-Taher. "Al-Tahrir wa Al-Tanweer". (1st ed., Tunisia: Dar Sahnoun, 1997AD).
- Ibn Attia, Mohammed Abdul-Haq bin Ghaleb. "Al-Moharar Al-Wajeez fii tafseer al-Kitab Al-Aziz." Investigated by: Abdul-Salam Abdul -Shafi Mohammed. (1st ed., Beirut: Daar al-Kutub al-Ilmiyat, 1422 AH).
- Ibn Fares, Ahmed bin Fares. "Mu'jam al-Maqaayis al-Lugat". Investigated by: Abdel-Salam Mohamed Haroun. (1st ed., Cairo: Dar al-Fikr, 1979AD).
- Ibn Hanbal, Ahmed bin Mohammed. "Musnad Imam

- Ahmad bin Hanbal". Investigated by: Shu'aib Al-Arna'oot, et al., Supervised by: Dr. Abdullah bin Abdul-Mohsen Al-Turki. (1st ed., Beirut: Muassasat ar-Risaalat, 2001AD).
- Ibn Katheer, Ismail bin Omar. "Tafseer al-Quran al-Adhim". (2nd ed., Damascus:Maktabat Dar Al-Fayhaa, 1998AD).
- Ibn Mandthoor, Mohammed bin Makram. "Lisan Al-Arab". (3rd ed., Beirut: Dar Sader, 1414 AH).
- Ibn Taymiyah, Ahmad ibn Abdul-Halim. "Majmou al-Fataawa". Investigated by: Abdul-Rahman bin Mohammed bin Qasem. (1st ed., Madinah: Mujamaa al-Malik Fahd li tiba'at al-Mushaf as-Shareef, 1995AD).
- Ibn Taymiyah, Ahmad ibn Abdul-Halim. "Iqtidou as-Siraat al-Mustaqeem li mukhalafat ashaab al-Jahim ." Investigated by: Nasser Abdul-Karim Al-Aql. (7th ed.,, Beirut: Dar A'lam Al-Kotob, 1999AD).
- Ibn Zanjalah, Abdul-Rahman bin Mohammed. "Ujat al-Qira'at" Investigated by: Said Al-Afghani. (1st ed., Beirut: Muassasat ar-Risaalat, the year of publication not specified).
- Majma' al-Lughat al-Arabiyat, Ibrahim Mostafa et al. " Mu'jam al-Waseet". (1st ed.Cairo: Daar ad-Da'wat, year of publication not specified).
- Ministry of Endowment and Islamic Affairs in Kuwait, "Al-Mawsu'at al-Fiqhiyat al-Kuwaitiyat" (1st ed., Kuwait: Ministry of Endowment and Islamic Affairs, 1427H).
- Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj. "Sahih Muslim". (3rd ed., Beirut: House of Revival of Arab Heritage, 1420 H).
- Redha, Mohamed Rashid. "Tafseer Al-Manar". (1st ed., Cairo: General Egyptian Book Organization, 1990AD).

#### **Second: Non-Published theses:**

- Al-Indoneisi, Awal Al-Deen Yahya. "Aayaat al-Kufr fii al-Quran al-Karim, Diraasatun Maoduiyat". (Research submitted for a master's degree from the Faculty of Islamic Sciences, Madinah International University, Malaysia, 1434H).
- Al-Lehyani, Bahia bint Hamid. "Ad-Duau fii Dou al-Kitab wa as-Sunnah." (Research submitted for master degree in the field of rhetoric and criticism from the Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Makkah, supervised by Prof. Yusuf Abdullah Al-Ansari, in 1422 H).
- Al-Madhoun, Rawdah Bent Saleem. "Al-Mafaahim al-Mustamadat min Aayaat ad-Dua fii al-Quran al-Karim wa dilaalaatuha at-Tarbawiyat". (Research submitted for master degree in the specialization of Islamic education Fundamentals from the Islamic University in Gaza, supervised by of Prof.: Hamdan Abdullah Al-Sufi, in 1430H).
- Al-Muhaizih, Kholoud bint Abdul-Rahman. "Ad-Duau wa ahkaamuh al-Fiqhiyat ". (Research submitted for master degree from the Department of Jurisprudence (Fiqh) at the Faculty of Sharia, Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh, in 1424H).
- Jihad Mohammed Bounja Tenguing. "Ad-Duau fii Dou al-Kitab wa as-Sunnah". (Research submitted for master degree in the specialization of Quran and Sunnah at Umm Al-Qura University in Makkah, supervised by Prof.: Al-Ajmi Damanhuri Khalifa, 1401H).
- Madani, Nour Zaman. "A-Suwar Al-Balaagiyat fii al-Ad'iyat al-Qur'aniyat". (PhD thesis in the specialization of Arabic language and literature from the National University of Modern Languages in

- Islamabad, supervised by Prof.: Kifayatullah Hamdani, 2011AD).
- Mafaid Al-Rahman, Morshed A'lem. "Al-Adiyat fii al-Quran al-Karim, Siyaguha wa khasoisuha, wa dilaalatuha, Muwazanat bima warada fii as-Sunnah an-Nabawiyat." (Research submitted for master degree in the field of interpretation and the sciences of the Quran from the University of Umm Al-Qura in Makkah, supervised by Prof.: Abdul-Aziz bin Abdullah Al-Hamidi, in 1416H).
- Al-Soyouti, Abdul-Rahman bin Abi-Bakr. " Mu'jam Maqaleed al-Uloom fii al-Hudud wa ar-Rusoom". Investigated by: Professor Muhammad Ibrahim Obada. (1st. ed., Cairo: Maktabat al-A'daab, 2004).

#### The contents of the issue The No. The research page The Narration of Al-Mufaddal Ad-Dabbi from 'Aasim: Collection and Analysis 1) 9 Dr. 'Ali bin Ibroheem bin 'Ali Tühuri A'shaar Al-Our'an Al-Aziz A Poem by Al-Imam Abi Abdullah 2) Muhammad bin Hassan Al-Fasi Al-Hanafi (died: 132 656 A.H) Study And Investigation Dr. AbdurRahman bin Saad Al-Johani Ibn Katheer's application of the principles of combining the sayings in his Quranic nterpretation - Study of applied models -3) 265 **Study and Implementation** May Ali As-Sudais Prayer of the Disbelievers to the Lord of the 4) Worlds in the Holy Ouran An Objective Study 386 Dr. Abdullah bin 'Idaan bin Ahmad Az-Zahraani

The Authentication of the Prophet (pbuh)

5)

6)

of the reverend Umm Hani's Refuge Offer in his

Guidance

The companions' preservation of the prophetic Sunnah, the reasons and aspects

Prof. Saleh bun Sa'eed Awmaar

511

637

# Publication Rules at the Journal (\*)

- The research should be new and must have not been published before.
- It should be genuine, innovative and informative.
- It should not been excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- It should include the following:
  - Title page in Arabic.
  - > Title page in English.
  - ➤ An abstract in Arabic.
  - ➤ An abstract in English.
  - > Introduction.
  - ➤ Body of the research.
  - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
  - ➤ Bibliography in Arabic.
  - ➤ Transliteration of Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
  - ➤ Necessary appendices (if any).
- If the research is published in paper form (hardcopy), the researcher will be given one free copy of the journal's issue in which his work was published and (10) copies excerpted from his research paper.
- In case the research is approved for publication, the journal assumes all of its copyrights and reserves the right to republish it in a hard or soft copy, and it also have the right to include it in a local and global databases with or without compensation, and without having to obtain the researcher's permission.
- The researcher shall not republish his research which has been accepted for publication in the journal in any other publishing channel without a prior written permission from the editor-inchief.
- The style of documentation adopted in the journal is Chicago style.

(\*) These general rules are explained in detail in the journal's website: http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

#### The Editorial Board

# Prof. Dr. Amin bun A'ish Al-Muzaini (editor)

A professor of Quranic science and its interpretation at Islamic University

#### Prof. Dr. Abdullah bun Julaidaan Az-Zufairi

A professor of Aqidah at Islamic University

#### Prof. Dr. Hafiz bun Muhammad Al-Hakami

A professor of Hadith Sciences at Islamic University

#### Prof. Dr. Muhammad Sa'd bun Ahmad Al-Youbi

A professor of Fundamentals of Figh at Islamic University

#### Prof. Dr. Ahmad bun Muhammad Ar-Rufaa'i

A professor of Figh at Islamic University

#### Prof. Dr. Abdu Raheem bun Abdillah As-Shinqiti

A professor of Quranic recitations at Islamic University

#### Prof. Dr. Ali bun Sulaiman Al-Ubaid

A former professor of Quranic science and its interpretation at Imam Muhammad bun Saud's University

#### Prof. Dr. Mubarak Muhammad Ahmad Rahmat

A professor of Quranic studies at Ummu Darrman Islamic University

#### Prof. Dr. Muhammad bun Khalid Abdil Azeez Mansour

A professor of Fiqh and its fundaments at Jordanian and Kuwait University

Editorial Secretary: **Khalid bun Sa'd Al- Ghamidi** 

Publishing department: **Omar bun Hasan al-abdali** 

#### The consulting board

Prof.dr. Sa'd bun Turki Al-Khathlan A former member of the high scholars His highness Prince Dr. Sa'oud bun Salman bun Muhammad A'la

Sa'oud Associate professor of Aqidah at King Sa'oud University

#### His excellency Prof. dr. Yusuff bun Muhammad bun Sa'eed

Vice minister of Islamic affairs

#### Prof.dr. A'yaad bun Naami As-Salami

The editor –in– chief of Islamic Research's Journal

#### Prof.dr. Abdul Hadi bun Abdillah Hamitu

A professor of higher education in Morocco

#### Prof.dr. Musa'id bun Suleiman At-Tayyarr

Professor of Quranic Interpretation at King Saud's University

#### Prof. dr. Ghanim Qadouri Alhamad

Professor at the college of education at Tikrit University

#### Prof. dr. Mubarak bun Yusuf Al-Hajiri

former Chancellor of the college of sharia at Kuwait University

#### Prof. dr. Zain Al-A'bideen bilaa Furaij

A professor of higher education at Al-Hassan the second's University

#### Prof. dr. Falih Muhammad As-Shageer

A professor of Hadith at Imam bun Saud's University

#### Prof. dr. Hamad bun Abdil Muhsin At-Tuwaijiri

A professor of Aqeedah at Imam Muhammad bun Saud's University

#### Prof. dr. Abdul Azeez bun Abdurrahman Ar-Rabee'a

Professor of compared Fiqh at the higher school for Judiciary

## Paper version

Filed at the King Fahd National Library No. 8736/1439 and the date of 17/09/1439 AH International serial number of periodicals (ISSN) 7898-1658

### Online version

Filed at the King Fahd National Library No. 8738/1439 and the date of 17/09/1439 AH International Serial Number of Periodicals (ISSN) 7901–1658

# the journal's website

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

The papers are sent with the name of the Editor – in – Chief of the Journal to this E-mail address Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect the views of the researchers only, and do not necessarily reflect the opinion of the journal)

